دار السلام
للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة

المعهد العالمي للفكر الإسلامي
١٤٠١هـ - ١٩٨١م
1401AH - 1981AC

علم النفس
في التراث الإسلامي

الجزء الثالث

د. إبراهيم شوقي عبد الحميد
د. أسامة سعد أبو سريع
د. الحسين محمد عبد المنعم
د. جمعة سيد يوسف
د. شعبان جاب الله رضوان
د. طريف شوقي محمد
د. عبد اللطيف محمد خليفة
د. عبد المنعم شحاته محمود
د. محمد أحمد شلبي
د. محمد نجيب الصبوة
د. معتز سيد عبد الله

إشراف وتقديم
أ. د. محمد عثمان نجاتي
أ. د. عبد الحليم محمود السيد

مكتبة
مؤمن قريش

علم النفس في التراث الإسلامي

الجزء الثالث

د. إبراهيم شوقي عبد الحميد — د. طريف شوقي محمد

د. أسامة سعد أبو سريع — د. عبد اللطيف محمد خليفة

د. الحسين محمد عبد المنعم — د. عبد المنعم شحاته محمود

د. جمعة سيد يوسف — د. محمد أحمد شلبي

د. شعبان جاب الله رضوان — د. محمد نجيب الصبوة

د. معتز سيد عبد الله

إشراف وتقديم

أ. د. محمد عثمان نجاتي — أ. د. عبد الحليم محمود السيد

المعهد العالمي للفكر الإسلامي

١٤٠١هـ - ١٩٨١م
1401AH - 1981AC

دار السلام

للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة

كافة حقوق الطبع والنشر والترجمة محفوظة
للناشر
دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة
لصاحبها
عبد القادر محمود البكار

الطبعة الأولى
لدار السلام
١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م

بطاقة فهرسة
فهرسة أثناء النشر إعداد الهيئة المصرية العامة لدار الكتب والوثائق القومية - إدارة الشؤون الفنية

علم النفس في التراث الإسلامي / إبراهيم شوقي عبد الحميد ... [وآخ] ؛ إشراف وتقديم / محمد عثمان نجاتي ، عبد الحليم محمود السيد . ط١ . - القاهرة ، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة ؛ المعهد العالمي للفكر الإسلامي ، ٢٠٠٨م .
٣ مج ؛ ٢٤ سم .
تدمك ٥ ٦٥٠ ٣٤٢ ٩٧٧
١ - علم النفس الإسلامي .

٢١٠,١٩

دار السلام
للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة
ش.م.م

تأسست الدار عام ١٩٧٣م وحصلت على جائزة أفضل ناشر للتراث لثلاثة أعوام متتالية ١٩٩٩م ، ٢٠٠٠م ، ٢٠٠١م هي عمر الجائزة تتويجًا لعقد ثالث مضى في صناعة النشر

جمهورية مصر العربية - القاهرة - الإسكندرية
الإدارة : القاهرة : ١٩ شارع عمر لطفي موازٍ لشارع عباس العقاد خلف مكتب مصر للطيران عند الحديقة الدولية وأمام مسجد الشهيد عمرو الشربيني - مدينة نصر
هاتف : ٢٢٧٠٤٢٨٠ - ٢٢٧٤١٥٧٨ (٢٠٢ +) فاكس : ٢٢٧٤١٧٥٠ (٢٠٢ +)
المكتبة : فرع الأزهر : ١٢٠ شارع الأزهر الرئيسي - هاتف : ٢٥٩٣٢٨٢٠ (٢٠٢ +)
المكتبة : فرع مدينة نصر : ١ شارع الحسن بن علي متفرع من شارع علي أمين امتداد شارع مصطفى النحاس - مدينة نصر - هاتف : ٢٤٠٥٤٦٤٢ (٢٠٢ +)
المكتبة : فرع الإسكندرية : ١٢٧ شارع الإسكندر الأكبر - الشاطبي بجوار جمعية الشبان المسلمين
هاتف : ٥٩٣٢٢٠٥ فاكس : ٥٩٣٢٢٠٤ (٢٠٣ +)
بريديًا : القاهرة : ص.ب ١٦١ الغورية - الرمز البريدي ١١٦٣٩
البريد الإلكتروني : info@dar-alsalam.com
موقعنا على الإنترنت : www.dar-alsalam.com

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

فهرس محتويات الجزء الثالث

الموضوع **الصفحة**

- ابن عربي (ت٦٣٨هـ)
- تهذيب الأخلاق.....١٠١٧
- الفتوحات المكية.....١٠٢٧
- الوصايا.....١٠٣٢
- فلسفة الأخلاق.....١٠٣٧
- تاج الرسائل ومنهاج الوسائل.....١٠٤١
- المنذري (ت٦٥٦هـ)
- كفاية التعبد وتحفة التزهد.....١٠٤٦
- ابن العديم (ت٦٦٠هـ)
- تذكرة الآباء.....١٠٥١
- ابن أبي أصبيعة (ت٦٦٨هـ)
- عيون الأنباء في طبقات الأطباء.....١٠٥٨
- ابن سبعين (ت٦٦٩هـ)
- رسائل ابن سبعين.....١٠٦٣
- النووي (ت٦٧٦هـ)
- آداب العالم والمتعلم والمفتي وفضل طالب العلم.....١٠٦٩
- ابن النفيس (ت٦٧٨هـ)
- الموجز في الطب.....١٠٧٦

- ابن كمونة (ت٦٨٣هـ)
• الجديد في الحكمة.....١٠٨١
- ابن الصباغ (ت٧٠٠هـ)
• درة الأسرار.....١٠٨٦
- ابن عطاء الله السكندري (ت٧٠٩هـ)
• تاج العروس الحاوي لتهذيب النفوس.....١٠٩١
• التنوير في إسقاط التدبير.....١٠٩٧
• الحكم العطائية.....١١٠٢
- ابن تيمية (ت٧٢٨هـ)
• أمراض القلوب وشفاؤها.....١١٠٧
• التحفة العراقية في الأعمال القلبية.....١١١١
- القاشاني، عبد الرزاق (ت٧٣٠هـ)
• شرح فصوص الحكم.....١١١٤
- ابن جماعة (ت٧٣٣هـ)
• تذكرة السامع والمتكلم في أدب العالم والمتعلم.....١١٣٤
- الذهبي، شمس الدين (ت٧٤٨هـ)
• كتاب الكبائر.....١١٤٢
• الطب النبوي.....١١٥١
- ابن قيم الجوزية (ت٧٥١هـ)
• مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة.....١١٥٥
• إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان.....١١٦٥
• الفوائد.....١١٧٠
• مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين.....١١٧٦
• عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين.....١١٩٢
• طريق الهجرتين وباب السعادتين.....١٢٠١

- روضة المحبين ونزهة المشتاقين.....١٢٠٨
- تحفة الودود بأحكام المولود.....١٢١٦
- الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي.....١٢٢٢
- رسالة في أمراض القلوب.....١٢٢٦

– ابن أبي حجلة (٧٧٦هـ)

- ديوان الصبابة.....١٢٣٣

– الخزرجي، ابن رضوان (ت٧٨٣هـ)

- الشهب اللامعة في السياسة النافعة.....١٢٣٩

– أبو المواهب، جمال الدين (ت٨٠٠هـ)

- قوانين حكم الإشراق إلى كافة الصوفية بجميع الآفاق.....١٢٤٨

– الجيلي، عبد الكريم (ت٨٣٢هـ)

- الإنسان الكامل في معرفة الأواخر والأوائل.....١٢٥٢

– الباهلي، أبو الحسن (ت٨٣٩هـ)

- الذخائر والأعلاق في آداب النفوس ومكارم الأخلاق.....١٢٥٨

– الأبشيهي (ت٨٥٠هـ)

- المستطرف من كل فن مستظرف.....١٢٦٣

– السيوطي، جلال الدين (ت٩١١هـ)

- الأرج في الفرج.....١٢٧٤
- حسن السمت في الصمت.....١٢٧٩

– المغراوي (ت٩٢٠هـ)

- جامع جوامع الاختصار والتبيان فيما يعرض للمعلمين وآباء الصبيان.....١٢٨٢

– أبو عبد الله زكريا الأنصاري (ت٩٢٦هـ)

- اللؤلؤ النظيم في التعلم والتعليم.....١٢٨٥

– ابن حجر الهيثمي (ت٩٧٣هـ)

- الزواجر عن اقتراف الكبائر.....١٢٨٨

- تحرير المقال في آداب وأحكام يحتاج إليها مؤدبو الأطفال.....١٢٩٧
- الشعراني (ت٩٧٣هـ)
- اليواقيت والجواهر في بيان عقائد الأكابر.....١٣٠٠
- تنبيه المغتربين أواخر القرن العاشر على ما خالفوا فيه سلفهم الطاهر.....١٣٠٦
- كشف الغمة عن جميع الأمة.....١٣١٠
- الطبقات الكبرى.....١٣١٨
- الأنوار القدسية في بيان آداب العبودية.....١٣٢٢
- الكبريت الأحمر في بيان علوم الشيخ الأكبر.....١٣٢٦
- العلموي، عبد الباسط (ت٩٨١هـ)
- العميد في أدب المفيد والمستفيد.....١٣٣٢
- بدر الدين الغزي (ت٩٨٤هـ)
- المراح في المزاج.....١٣٣٨
- الشرنوبي (٩٩٤هـ)
- تائية السلوك إلى ملك الملوك.....١٣٤١
- إبراهيم بن إسماعيل (ت١٠٠٠هـ)
- شرح تعليم المتعلم.....١٣٤٥
- داود الأنطاكي (ت١٠٠٨هـ)
- تزيين الأسواق بتفصيل أشواق العشاق.....١٣٤٩
- النابلسي، عبد الغني (١١٤٣هـ)
- تعطير الأنام في تعبير المنام.....١٣٥٥
- الإشارات في علم العبارات.....١٣٦٧
- أبو ذر النراقي (ت١٢٠٩هـ)
- جامع السعادات.....١٣٦٩
- أبو بكر بن عبد الله بناني (ت١٢٤٨هـ)
- مدارج السلوك إلى ملك الملوك.....١٣٧٩

- السيد بكري المكي (ابن شطا) (ت١٠١٣هـ)
- كفاية الأتقياء ومنهاج الأصفياء.....١٣٧٦
- أبو بكر الزصامي (ت١٣٥٠هـ)
- نهي الناهين.....١٣٩٢
- أبو العلا عفيفي (ت١٣٨٥هـ)
- الملامتية والصوفية وأهل الفتوة.....١٣٩٧

***

محمد بن علي بن محمد
ابن عربي أبو بكر الحاتمي
(ت٦٣٨هـ)
تهذيب الأخلاق[١]

عرض: د. الحسين محمد عبد المنعم

التعريف بالمؤلف:

محمد بن علي بن عربي، أبو بكر الحاتمي الطائي الأندلسي، المعروف بمحيي الدين ابن عربي، والشيخ الأكبر، وابن أفلاطون. فيلسوف من أئمة المتكملين في كل علم. ولد في مدينة مرسية في ١٧ رمضان سنة ٥٦٠هـ، الموافق ٢٨ يوليو سنة ١١٦٥م، في عهد خلافة المستنجد في المشرق. وكان يحكم مرسية وبلنسية، في ذلك الوقت، ابنُ مردنيش، وكان أميرًا مستقلًا بإمارته عن سلطان الموحدين الذين تولى سلطانهم الثالث، أبو يعقوب يوسف، الملك بعد أبيه عبد المؤمن الذي امتد سلطانه على سائر أسبانيا. ولكن بعد أن خضعت مرسية (وهي من أعمال الأندلس) لحكم الموحدين، انتقل ابن عربي مع أهله إلى إشبيلية، وكان في الثامنة من عمره.

وكان ابن عربي من أسرة نبيلة غنية، وافرة التقوى، فقد ذكر ابن عربي نفسه عن كلا أبويه أخبارًا تدل على شدة التقوى، وكان له خالان سلكا طريق الزهد، أحدهما يحيى بن يغان في تلمسان، وأبو مسلم الخولاني الذي كان يقضي الليل في مجاهدات شديدة، ويضرب نفسه بقسوة حتى لا ينام.

في هذا الوسط العامر بالزهد والتصوف قضى ابن عربي سنيَّ طفولته. وتلقى تربية أدبية ودينية كاملة، فقد أشار في كتبه مرارًا عديدة إلى شيوخه في القراءات والتاريخ والشعر والحديث. ولقد رُوي أنه كان في صغره ومطلع شبابه شغوفًا بالأدب والصيد

(١) تحقيق عبد الرحمن حسن محمود، ط: القاهرة، عالم الفكر (١٩٨٦م)، (٧٠ص).

منصرفًا عن الله. وهو يذكر في شيخوخته سنوات طفولته ومطلع شبابه التي أضاعها في رحلات الصيد في حقول قرمونة وبلمة ومعه الخيل والخدم.

ولعل نصائح زوجته والقدوة التي شاهدها فيها قد حملت ابن عربي على أن يغير مجرى حياته، تواكب هذا دعوات أمه التقية، وساعد على هذا كله مرض شديد أصيب به، كان هذا المرض حمَّى مصحوبة بهذيان شديد من عذاب الجحيم. ويقال: إنه نجا منه بفضل دعاء أبيه الذي كان ساهرًا عند رأسه، يقرأ سورة يس. وكان لوفاة أبيه الأثر والفيصل الحاسم في حل أزمته الروحية إلى الله بكليته نهائيًّا. وذلك عام (٥٨٠هـ، ١١٨٤م)، وكان ذلك في الحادية والعشرين من عمره، وهو الذي صرَّح بذلك(١).

وفي سن السادسة والعشرين من عمره بدأ بعض المتصوفين المشاهير يذهبون إليه للتلقي عنه، مثال ذلك: موسى البيدارني الذي كان صوفيًا شهيرًا، قام برحلة إلى إشبيلية بقصد الاتصال بابن عربي والإفادة من تعاليمه.

وقد تلقى ابن عربي عن موسى بن عمران الميرتلي، كيف يتلقى الإلهامات الإلهية. وكذلك تلقى عن أبي الحجاج يوسف الشيربلي، ويوسف الكومي، وأبي عبد الله بن المجاهد، وأبي عبد الله بن قيود بإشبيلية، وكذلك عبد الله المغاري وأبو العباس العريني ويوسف الإستجي. ومن النساء ياسمين الصالحة، وهي صوفية من مرشانة الزيتون، وفاطمة القرطبية أو هي فاطمة بنت المثنى من أهل قرطبة، وكانت عارفة بهم من غير تلبيس.

قام ابن عربي برحلة، فزار الشام، وبلاد الروم، والعراق، والحجاز. وأنكر عليه أهل الديار المصرية "شطحات" صدرت عنه، فعمل بعضهم على إراقة دمه، كما أريق دم الحلاج وأشباهه. وحبس، فسعى في خلاصه علي بن فتح البجائي (من أهل بجاية) فنجا. واستقر في دمشق، فتوفي فيها. وهو، كما يقول الذهبي، قدوة القائلين بوَحدة الوجود. له نحو أربعمئة كتـــاب ورسالة، منها: الفتوحات المكية–ط عشر مجلدات، في التصوف وعلم النفس، ومحاضرة الأبرار ومسامرة الأخيار–ط: في الأدب، مجلدان، وديوان شعر–ط: أكثره في التصوف وفصوص الحكم–ط، ومفاتيح الغيب–ط، والتعريفات–ط، وعنقاء مغرب–ط: تصوف، والإسرا إلى مقام الأسرى–خ، والتوقيعات–خ، وأيام الشان–خ، ومشاهد الأسرار..

(١) أسين بلاثيوس، (١٩٦٥م)، (ص١١).

والأسرار القدسية–خ، وإنشاء الدوائر–ط، والحق–خ، القطب والنقاء–خ، وكنه ما لابد للمريد منه–ط، والوعاء المختوم–خ، ومراتب العلم الموهوب–خ، والعظمة–خ، والإمام المبين–خ، ومواقع النجوم ومطالع أهلة الأسرار والعلوم–ط، ومرآة المعاني–خ، والتجليات الإلهية–خ، وروح القدس–ط، والسر الخفي–خ، والأحدية–خ، والأنوار–ط: في أسرار الخلوة، وشجرة الكون–ط، وشجون المسجون–خ، منه نسخة متقنة من الرباط (٢٩٣ أوقات)، وفتح الذخائر والأغلاق شرح ترجمان الأشواق–ط، ومنهاج التراجم–خ، وعقلة المستوخز–ط، ومقام القربى–خ، وشرح أسماء الله الحسنى–خ، وشرح الألفاظ التي اصطلحت عليها الصوفية–خ؛ ومعه رسالتان من تأليفه أيضًا، وهما لبس الخرقة، وجلية الأبدال: وهذه في خمس ورقات أنشأها في الطائف، قال:... "استخرت الله في ليلة الاثنين الثاني عشر من جمادى الأولى سنة تسع وتسعين وخمسمئة، بمنزل آل مية بالطائف... إلخ"، وأوراد الأيام والليالي–خ، واللمعة النورانية–خ، والقربة–خ، وشق الحبيب–خ، والتجليات–ط، والشواهد–خ، وتحرير البيان في تقرير شعب الإيمان–خ، ومراتب التقوى–خ، والصحف الناموسية–خ، ومئه حديث وواحد قدسية–خ، وتصوير آدم على صورة الكمال–خ، وفهرست مؤلفاته–خ، واليقين–خ، والأصول والضوابط–خ، وتلقيح الأذهان–خ، والحجب–خ، ومرآة العارفين–خ، والمعَوَّل عليه–خ، والتدبيرات الإلهية في المملكة الإنسانية–ط، والأربعون صحيفة من الأحاديث القدسية–ط...

وكتب عنه كثيرون قدحًا ومدحًا، فقد كتب طه عبد الباقي سرور كتابًا يسمى "محيي الدين بن عربي–ط" في سيرته. وكتب المستشرق اليوناني أسين بلاثيوس" ابن عربي حياته ومذهبه" ترجمه إلى العربية عن الأسبانية عبد الرحمن بدوي، ونشر عام (١٩٦٥م) بالقاهرة. وفي مكتبة المتحف العراقي مجموعة من رسائله بخطه، وهناك أسماء لمؤلفاته في المجمع العلمي العربي (٣٠: ٢٦٨، ٣٩٥).

عرض الكتاب:

يقع الكتاب في ٦٩ صفحة من القطع الصغير، ويضم الكتاب بالإضافة إلى تقديم المحقق ومقدمة المؤلف ثمانية فصول على النحو الآتي: فصل في الأخلاق المذمومة، فصل في الأخلاق المحمودة، فصل في النفس الشهوائية، فصل في النفس الغضبية، فصل في النفس الناطقة، فصل في أنواع الأخلاق وأقسامها، فصل في طريق الارتباط

بالأخلاق، وفصل في أوصاف الإنسان التام الجامع لمحاسن الأخلاق.

في البداية يوضح المؤلف في المقدمة أهمية الكتاب، وهو الاسترشاد بما جاء فيه من الأخلاق الحميدة للتحلي بها، وتجنب الأخلاق السيئة.

ويتحدث في الفصل الأول عن الأخلاق المذمومة، ويرى أنها موجودة في كثير من الناس، كالبخل والجبن والظلم والشر، ولكن بدرجات متفاوتة، وهم غالبية، لأن الشر غالب على طبيعة الإنسان، وذلك لأن الإنسان إذا استرسل في طبعه، ولم يستعمل الفكر، ولا التمييز، ولا الحياء ولا التحفظ، كان الغالب عليه أخلاق البهائم مشاركًا لها في عاداتها، والشهوات مستولية عليه، والحياء غائب عنه، والغضب يستفزه، والسكينة غير حاضرة له، والشر لا يفارقه.

ويقرر بأن الأخلاق المكروهة في طباع الناس، إلا أن منهم من يتظاهر بها، ومنهم من يأنف منها، ومنهم من رغب في العدول عنها، وتعذر عليه ذلك، وهذه الطائفة تحتاج إلى ترشيد وتدريب للعمل بالعادات المحمودة، ومنهم أيضًا من لا تسمح نفسه بمفارقتها، بل يؤثر الإصرار عليها مع علمه برداءتها، وهذه طائفة ليس إلى تهذيبها طريق إلا بالقهر والتخويف والعقوبة؛ إن لم يردعها الترهيب.

ونلمح في هذا الفصل إشارة أولية إلى عدد من موضوعات علم النفس الحديث، أهمها: الدوافع Motives، والانفعالات Emotions، وأساليب الثواب والعقاب المشتقة من نظريات التعلم. (ص١٣، ١٤).

كما يتحدث المؤلف في الفصل الثاني عن الأخلاق المحمودة، ويرى أنها توجد في بعض الناس، وأما البعض الآخر فيمكن أن يصيروا إليها بالتدريب والرياضة.

ويرى أيضًا أن علة اختلاف الأخلاق هي "النفس، وللنفس ثلاث قوى أو نفوس: النفس الشهوائية، والنفس الغضبية، والنفس الناطقة. وجميع الأخلاق تصدر عن هذه القوى، فمنها ما يختص بإحداهن، ومنها ما يشرك فيه قوتان، ومنها ما يشرك فيه القوى الثلاث. ومن هذه القوى ما يكون للإنسان وغيره من الحيوان، ومنها ما يختص به الإنسان فقط.

ونجد هنا أيضًا إشارة واضحة إلى "دوافع السلوك" أو محركات السلوك الإنساني، وهو أحد موضوعات علم النفس الحديث (ص١٥).

وفيه تقسيم للوظـائف النفسية إلى دافعية (شهوانية)، وانفعـــالية (غضبية)، وإدراكية

(النفس الناطقة) (وحينما ينسب الإدراك الي النفس الناطقة فإنه يعني الإدراك العقلي).

ويبدأ ابن عربي بالحديث عن النفس الشهوانية في الفصل الثالث، وهي التي يكون بها جميع اللذات والشهوات الجسمانية، كالإقدام على المأكل والمشرب والجنس. وهذه النفس قوية جدًا إذا تمكنت من الإنسان صارت أغراضه ومطلوباته مصروفة إلى الشهوات واللذات فقط، ومن يكون بهذه الصفة يقل حياؤه، ويكثر خرقه، ويميل إلى الخلوات، ويبغض أهل العلم، ويود أصحاب الفجور، ويحب الفواحش ويكثر ذكرها، ويلذ له استماعها، ويُسر بمعاشرة السفهاء... وربما دعته محبة اللذات إلى اكتساب الأموال من أقبح وجوهها. وتحمله نفسه إلى الغضب، والتلصص، والخيانة.

ويجب على أولي الأمر ومتولي السياسات في هذه الحالة، قمعهم وتأديبهم، وإبعادهم حتى لا يختلطوا بالناس ويضروهم، وخاصة الأحداث (صغار السن) لأن الحدث سريع التأثر بهم، وخاصة أن نفسه مجبولة على الميل إلى الشهوات، فإذا شاهد غيره مرتكبًا لها مال هو أيضًا إلى الاقتداء به، وإلى مساعدة لذته.

وأما من ملك نفسه الشهوانية وقهرها كان ضابطًا لنفسه، عفيفًا في شهوته، متحشمًا عن الفواحش، محمود الطريقة في جميع ما يتعلق باللذات.

إذن العلة الموجبة لاختلاف عادات الناس في شهواتهم ولذاتهم، وعفة بعضهم وفجور بعضهم؛ هو اختلاف أحوال النفس الشهوانية. ومن أجل ذلك وجب على الإنسان أن يؤدب نفسه الشهوانية، ويذبها حتى تصير منقادة له، ويكون هو مالكها.

ويرتبط هذا الفصل أيضًا ببعض موضوعات علم النفس الحديث مثل: الدوافع (دافع الجنس) – العلاقة بين الدافع والانفعال – التقليد الاجتماعي – السيطرة على الدوافع (ص١٦، ١٧).

ثم يحدثنا في الفصل الرابع عن النفس الغضبية، ويشترك فيها الإنسان وسائر الحيوان، وهي التي بها: الغضب، والجرأة، ومحبة الغلبة؛ وهي أقوى من النفس الشهوانية، وأضر بصاحبها إذا ملكته وانقاد لها. ومن انقاد لها كثر غضبه، وظهر خرقه، واشتد حقده، وعدم حلمه ووقاره، وربما أقدم على القتل وإيذاء النفس.

وأما من ساس نفسه الغضبية، وأدبها فكان رجلًا حليمًا، وقورًا عادلًا، محمود الطريقة. والعلة الموجبة لاختلاف عادات الناس في غيظهم وسفاهة بعضهم؛ هو

اختلاف أحوال النفس الغضبية.

ويرتبط هذا الفصل بأحد موضوعات علم النفس العام، وهو الانفعالات، وخاصة "انفعال الغضب"، وكيفية التغلب عليه (ص١٨-٢٠).

كما يحدثنا الفصل الخامس عن النفس الناطقة، وهي التي تميز الإنسان من جميع الحيوان، وهي التي يكون بها الذكر والتمييز والفهم، -وبها يستحسن المحاسن، ويستقبح القبائح-، وبها يمكن للإنسان أن يهذب قوتيه الباقيتين وهما الشهوانية والغضبية، وبها يفكر في عواقب الأمور.

ولهذه النفس أيضًا فضائل ورذائل. أما فضائلها فباكتساب العلوم والآداب، وكف صاحبها عن الرذائل والفواحش، وقهر النفسين الأخريين، وتأديبهما، وحث صاحبهما على: فعل الخير، والتودد، والرقة، وسلامة النية، والحلم، والحياء، والنسك، والرفعة، وطلب الرياسة من الوجوه الجميلة. وأما رذائلها؛ فالخبث، والحيلة، والخديعة، والملق، والمكر، والحسد، والشر، والرياء.

ومن الناس من تغلب عليه فضائلها، فيستحسنها ويستعملها، ومنهم من تغلب عليه رذائلها ويستمر عليها، ومنهم من يجتمع فيه بعض الفضائل وبعض الراذئل.

والعلة الموجبة لاختلاف الناس في سياساتهم وفضائلهم، وغلبة الخير والشر عليهم، هو اختلاف قوة النفس الناطقة فيهم. ومن أجل ذلك؛ وجب على الإنسان أن يفكر، ويميز أخلاقه، ويختار منها ما كان جيدًا مستحسنًا جميلًا، وينفي منها ما كان مستنكرًا قبيحًا، ويحمل نفسه على التشبه بالأخيار، ويتجنب عادات الأشرار.

ونلمح في هذا الفصل إشارة الي أحد موضوعات علم النفس الحديث، وهو "سيكولوجية التفكير Thinking" (ص٢١-٢٣). كما يرتبط بسمات الشخصية والفروق الفردية، والقيم الخلقية.

ثم يقدم ابن عربي فصلًا في أنواع الأخلاق وأقسامها، ويقسمها إلى قسمين رئيسيين هما:

أ- **الفضائل: المستحبة والمستحسنة.**

ب . **النقائص: المستقبحة والمكرهة.**

والتي تعد فضـــائل منها: العفة، القنـــاعة، التصون، الحلم، الوقـــار، الحياء، الود، الرحمة، الوفـــاء، أداء الأمانة، كتمان السر، التواضع، البِشْر، صدق اللهجة، سلامة

النية، السخاء، الشجاعة، المنافسة، الصبر عند الشدة، عظمة الهمة، العدل.

أما الأخلاق الرديئة التي تعد نقائص ومعايب، فمنها: الفجور، الشره، التبذل، السفه، الخَرق، القحة، العشق، القساوة، الغدر، الخيانة، إفشاء السر، النميمة، الكبر، العبوس، الكذب، الخبث، الحقد، البخل، الجبن، الحسد، الجزع عند الشدة، صغر الهمة، الجور.

ويرتبط هذا الجزء بالقيم الخلقية Moral Values.

وهناك نوع من الأخلاق تعتبر عند بعض الناس فضيلة، وعند البعض الآخر رذيلة، ومنها:

أ. **حب الكرامة:** مستحب لدى الأحداث والصبيان، لأن محبة الكرامة تحثهم على اكتساب الفضائل. غير مستحب لدى الأفاضل من الناس، لأن الإنسان إنما يمدح على الفضيلة إذا كانت مستغربة منه، وخاصة أن حب الكرامة يعني أن يسر الإنسان بالتعظيم والتبجيل والمدح.

ب . **حب الزينة:** مستحب من الملوك والعظماء، والأحداث، والظرفاء، والمتنعمين، والنساء. غير مستحب من الرهبان والشيوخ وأهل العلم، خاصة الخطباء والواعظين ورؤساء الدين.

ج . المجازاة على المدح:

- مستحب من الملوك والرؤساء.
- غير مستحب من أصاغر الناس.

د . الزهد:

- مستحب من العلماء والرهبان، ورؤساء الدين، والخطباء، والواعظين.
- غير مستحب من الملوك والعظماء.

هذه هي أخـــلاق جميع النـــاس، أما المحمود منـــها، المعـــدود فضـــائل، فقـــلما تجتمع كلها في إنســـان واحد. وأما المذموم منها، والمعدود نقائص فقلما يوجد إنسان يخلو من جميعها. وعلى الإنسان أن يتفقد أخلاقه ويتأمل عيوبه، ويجتهد في إصلاحها، وينفيها عن نفسه، ويتبع الأخلاق المحمودة، ويحمل نفسه على اعتيادها والتخلق بها.

ونلمح هنا إشارة مبكرة إلى سيكولوجية الشخصية، وخاصة موضوع "السمات" Traits (ص٢٤-٤٣).

ثم يقدم لنا المؤلف فصلًا في طريقة الارتياض بالأخلاق والتعمل لاعتيادها، فربما استحسن الإنسان خلقًا محمودًا لا يجده لنفسه، وآثر التخلق به، ولم تستحب له عاداته، ولم يصل إلى مراده، ولذا يرى ابن عربي أن يرسم للراغبين في السياسة المحمودة طرقًا يتدربون بها، ويتدرجون فيها، حتى ينتهوا إلى مرادهم من اعتياد الاخلاق الجميلة.

ويرتبط بهذا الجزء موضوع تعديل السلوك Behaviour Modification.

وكما ذكرنا من قبل أن مِلاك الأخلاق؛ هو تذليل النفس الشهوانية والغضبية، وتمييز عادات النفس الناطقة، واستعمال المحمود من أفعالها.

فأما النفس الشهوانية فالطريق إلى قمعها أن يتذكر الإنسان وقت شهواته أنه يريد تذليل نفسه الشهوانية، فيعدل عندما قامت نفسه إليه من الشهوة المردية إلى ما هو مستحسن، من جنس تلك الشهوة.

وينبغي لمن أراد قمع الشهوانية:

١. أن يكثر من مجالسة الزهاد والرهبان والنساك وأهل الورع والواعظين وأهل العلم.

٢. أن يديم النظر في كتب الأخلاق، والسياسة، وأخبار الزهاد، والرهبان.

٣. أن يجتنب السُّكر.

٤. أن يُقِلَّ من استماع السماع، وخاصة النسوان والشابات منهن، والمتصنعات.

٥. أن يتوسط في أنواع المأكل.

٦. أن يكون متيقظًا، ذاكرًا لما يلحق الفاجر والنّهِم والشَّرِه والمتهتك من الفضيحة والعار.

وأما النفس الغضبية فإن الطريق إلى قمعها وتذليلها هو:

١. أن يتفقد أحوال السفهاء حتى يأنف من مشاهدتهم فتنكسر حدة غضبه.

٢. أن يذكر أوقات غضبه على من يؤذيه، أو يبني عليه.

٣. أن يتجنب حمل السلاح، وحضور مواضع الحروب، ومقامات الفتن، ومجالس الأشرار، ومعاشرة السفهاء، ومخالطة الشرط، لأن هذه المواضع تكسب القلب قساوة وغلظة.

٤. أن يكثر من مجالسة أهل العلم، وذوي الوقار، والشيوخ والرؤساء، والأفاضل.

٥. أن يتجنب المسكر من الشراب.

٦. أن يستعمل في جميع ما يفعله الفكر، ولا يقدم على شيء الإ بعد أن يتروى فيه.

أما ملاك الأمر في "تهذيب الأخلاق" وضبط النفس الشهوانية والنفس الغضبية فهو تقوية النفس الناطقة، وهذه النفس إذا قويت أمكن لصاحبها:

أ- أن يسوس بها قوتيه الباقيتين.

ب- أن يكف نفسه عن جميع القبائح.

جـ - أن يتبع مكارم الأخلاق.

وإذا كانت هذه النفس مقهورة فعلى صاحبها أن يقويها ويَرُوضَها عن طريق:

١- النظر في العلوم العقلية وكتب الأخلاق والسياسة.

٢- مجالسة أهل العلم، ومخالطتهم، والاقتداء بأخلاقهم، وعاداتهم.

٣- تذليل قوة الشهوة الغضبية.

٤-أن يجعل غرضه من كل فضيلة غايتها ونهايتها، ولا يقنع منها بما دون الغاية.

وهذا هو طريق الارتباط بمكارم الأخلاق، ومنهج التدريج في محمود العادات.

ويرتبط هذا الفصل ببعض مفاهيم علم النفس الحديث مثل: التدريب Training، والإدمان Addiction، والنمذجة والمحاكاة Simulation & Modeling، والسيطرة على الانفعالات (ص٤٤-٥٣). ويقترب ما يوجهه ابن عربي من نصائح للتغلب على عيوب النفس من المهمة التي يقوم بها حديثًا المرشدون النفسيون، والمعالجون السلوكيون.

وفي النهاية يقدم لنا فصلًا في "أوصاف الإنسان التام الجامع لمحاسن الأخلاق وطريقته التي يصل بها إلى التمام".

والتمام وإن كان عزيزًا بعيد التناول؛ فإنه ممكن، وهو غاية ما ينتهي إليه الإنسان.

وأما أوصاف الإنسان التام، فهي:

أولًا: أن يكون متفقدًا لجميع أخلاقه، متيقظًا لجميع معايبه، عاشقًا لصورة الكمال. وأما الطريقة التي توصله إلى التمام فهي: أن تصرف غايته إلى النظر في العلوم الحقيقية، والإحاطة بماهيات الأمور، وقراءة كتب الأخلاق والسير والسياسات، ومجالس أهل العلم والحكمة. وخص الملوك والرؤساء بمجالسة المعروفين بالخير والسداد

الموصوفين بالأدب والوقار، وقراءة سير الملوك والأخيار وعاداتهم.

ثانيًا: أن يجعل لشهواته ولذاته قانونًا، يقصد فيه الاعتدال، ويتجنب الإسراف والإفراط. ويصل إلى هذا بقصر شهواته على المأكل والمشرب المقرون بالمكرم للأهل، والأصحاب، وأهل الفقر، والمسكنة.

ثالثًا: أن يستهين بالمال ويحتقره، وينظر إليه بالعين التي يستحقها.

رابعًا: ينبغي أن يُشْعِرَ نفسه أن الغضبان بمنزلة البهائم والسباع: يفعل ما يفعله من غير علم ولا روية. وطريق الحليم الوقور دائمًا هو ضبط النفس الغضبية وزمُّها.

خامسًا: ينبغي أن يعود نفسه على محبة الناس، والتودد بهم، والتحنن عليهم، والرأفة والرحمة بهم.

سادسًا: ينبغي أن يجعل همته فعل الخير مع جميع الناس، وإنفاق ما يفضل من ماله فيما يبقي له الذكر الجميل بعد موته، ويتحرر من فعل الشر.

سابعًا: أن يعتقد أنه ليس شيء من العيوب والقبائح خافيًا عن الناس، فلا يطمع نفسه في ارتكاب فعل قبيح يظن أنه ينكتم عن الناس.

- وهذه الرتبة غاية تمام الإنسانية، ونهاية الفضيلة البشرية، وواجب على كل إنسان الاجتهاد في بلوغها.

ويقترب هذا الفصل من بعض مفاهيم سيكولوجية التعلم الاجتماعي مثل "التفاعل الاجتماعي" Social Interaction.

أوجه الاستفادة من هذا الكتاب في مجالات علم النفس العام، وعلم النفس الاجتماعي والإرشاد النفسي.

***

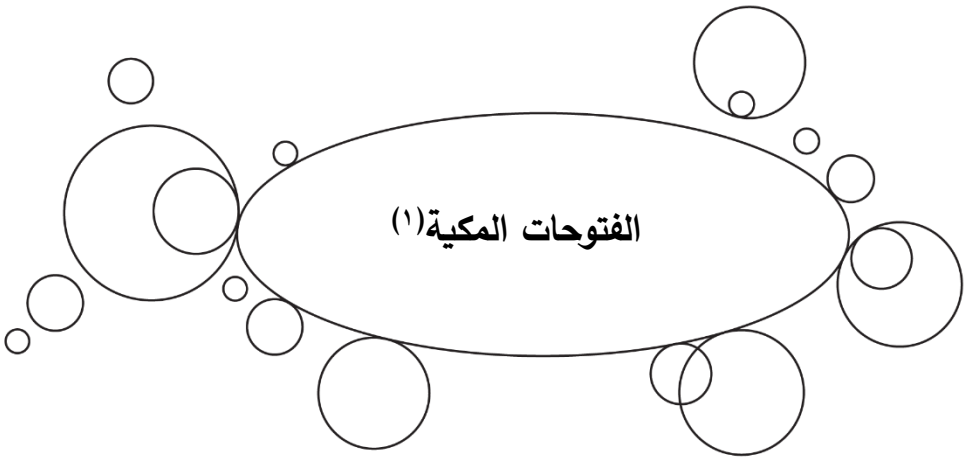

عرض: د. عبد المنعم شحاتة

عرض الكتاب:

يقع هذا الكتاب في أربعة مجلدات من القطع الكبير، المجلد الأول عدد صفحاته ٧٨٠ صفحة، والثاني ٧٠٤ صفحة، والثالث ٥٧٦ صفحة، والرابع ٥٧١ صفحة، بالتالي يكون إجمالي صفحاته ٢٦٣١ صفحة، وبكل جزء فهرس مستقل.

يصف ابن عربي "الفتوحات المكية" بأنه كتاب في علم المعاني، ويستهدف به المريد، موضحًا له طريق التصوف، وما يجب على المتصوف من معارف ومعاملات وأحوال ينبغي أن يكون عليها، ولذلك لا يقتصر الكتاب على وصف أحوال المتصوفة وطرائقهم وتعاملاتهم، وإنما يتناول تفسير بعض الآيات القرآنية كتوضيحه لمراتب الأسماء الحسنى، ومعنى ﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾، وفاتحة القرآن الكريم، وقوله جل وعلا: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ [الشورى:١١]، و﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات:٥٦]، و﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي...﴾ [آل عمران:٣١]، و﴿وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ﴾ [البقرة:١٦٣]. وغيرها. كما يتناول الفقه فيحدث عن الشهادتين وأسرار الطهارة وموجهاتها وكيفيتها، وموضحًا الاختلافات الفقهية في تفـــاصيل هذه الكيفيـــات، وبنفس الطريقة يتحدث عن الصلاة، والزكاة، والحج، والدعاء... وغيرها من العبادات مركزًا على ما يجب على المتصوف أن يسلكه للعبادة الحقة.

(١) القاهرة، مكتبة الثقافة الدينية، [د.ت] ٤مج.

كما يتناول موضوعات فلسفية عندما يتحدث عن التوحيد والوجود والمعرفة ودرجاتها والمعلومات ومراتبها، كما يتناول موضوعات لغوية عندما يصف مراتب الحروف –إذ الحروف جامعة لكل المعاني– وطبقاتها وحركتها في الأفلاك، وكيفية تكوين الكلمات منها، ودور الحركات (أو الحروف الصغرى) في هذا التكوين.

ومع ذلك، فالكتاب أساسًا كتاب عن التصوف وموجه إلى المريدين، ويصف مقامات المتصوفة وأحوالهم ومنازلهم وسلوكهم، وانفعالاتهم وأفعالهم. وقد حصل ابن عربي على مضمونه عن طريق الكشف الإلهي، كما ذكر لنا، فهو "يتلقى من الله بلا واسطة" في واقعة رأيت الحق فيها يخاطبني.. وسماني باسم ما سمعت به قط إلا منه تعالى... فسألته تعالى... فقال: ظهرت إلى خلقي بصورة آدم. (٢: ٣٢١).

ويرى ابن تيمية (٥٤: ١٩٥١) أن هذا الطريق مخالف للإسلام ولسنة نبيه ﷺ، وأن البعض –كالغزالي وابن عربي– لجأ إليه لإدراكه ما في طريق المتكلمين والمتفلسفة من اضطراب، ولقلة علمه بطريقة أهل الحديث الموروث عن الرسول ﷺ. ويؤكد ابن تيمية أن ما يذكره هؤلاء عن طريق الكشف ليس إلا أكاذيب؛ مؤكدًا أن حساب الجُمَّل قد استخرجه ابن عربي من حروف المعجم الذي ورثه عن اليهود، ومن حركات الكواكب الذي ورثه عن الصابئة (ص٦٨). ويؤكد ابن خلدون في مقدمته، أن البعض –ومنهم ابن عربي– ينتحل الكشف عن الغيب لنشر أفكار غريبة كالوَحدة والتجسيم... إلخ (النواوي، ١٦: ١٩٨٠).

وكتاب "الفتوحات" مليء بمثل هذه الأفكار الغريبة عن الاتحاد والتوحيد والولاية والقطب والأوتاد والأبدال... إلخ، ومعظم هذه الأفكار يرجع إلى قياس مغلوط. مثال ذلك: قول ابن عربي: (إن محمدًا ﷺ) ليس خاتم الأنبياء، فهناك نبوة مكتسبة، أي وجود نبي من التابعين لمحمد. فقد ثبت من الأحاديث أن "عيسى" عليه السلام نبي سينزل آخر الزمان ليقيم شرع الله، ويحكم الأرض بالعدل، وقد ثبت أن "عيسى" نبي، فيمكن أن يكون هناك نبي آخر يتبع شرع محمد ﷺ (انظر: ٢: ٣). مثال آخر في تفسيره للآية الكريمة: ﴿**أَنتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ**﴾ [فاطر:١٥] (٢: ١٦). مثال ثالث في قصة "الخضر" مع "موسى" عليه السلام (٢٢/٢).. وغيرها من القياس المغلوط الذي يصل ابن عربي من خلاله إلى الكثير من الأفكار الغريبة.

مصدر آخر يتبعه ابن عربي وهو الكشف. وقد وصف ابن عربي الظروف التي يتم فيها الكشف بأنه اضطجـــاع لا حركة فيه ولا كلام ولا طعام ولا نوم ولا أنام، فهنـــاك عزلة

تامة مع صمت، مع سهر، مع جوع؛ مما يؤدي إلى عدم تمييز المكان ولا الزمان ولا الحاجة، أي تحدث رتابة حسية تؤدي إلى غياب الوعي عما يحدث في الخارج، ويستعيض العقل عن ذلك بحياة خاصة به ومتخلية، فيحادث أشخاصًا يتخيلهم، ويتعامل معهم، يسمعهم ويسمعونه، يبصرهم ويبصرونه... إلخ. وقد يكون هذا تفسير الذي يقول به المتصوفة، وهو تفسير لا يجزم بصحته.

وعلى الرغم من كل هذا، فإن الكتاب مليء بالإرهاصات لعلوم حديثة. فعندما يشير إلى مخارج الحروف (١: ٥٦-٧٧) فهو يقدم إرهاصًا بعلم الصوتيات، وعندما يقدم تصنيفًا للعلوم (١: ١٦١) فإنه يضمنها علم مشاهدة الذات، وعلم تحريك النفوس، وعلم الميل، وعلم الأحوال، وعلم الهوى، وعلم النفس الأمارة. وبمجرد النظر إلى هذه الألفاظ نجدها تدخل ضمن اهتمامات علم النفس المعاصر، فهناك بحوث تركز على إدراك الذات Self-Perception، وأخرى على الاهتمام أو الميل Interest، وثالثة على العواطف والانفعالات المتبادلة، ومنها الحب Love، والتفضيل Liking وما شابه.

ويشير ابن عربي إلى عملية الإدراك، والتي ينظر إليها -كما ينظر إليها علم النفس المعاصر- على أنها عملية إضفاء المعنى على المحسوسات، إذ يقول: "المعلومات منحصرة من حيث ما تدرك به في حس ظاهر وباطن، وهو الإدراك النفسي، وبديهة، وما تركب من ذلك عقلًا، إن كان معنى، وخيالًا إن كان صورة (١: ٤٥)، كذلك انظر مراتب المعلومات في (٢: ٦٦)، لذلك يرى أن خطأ المعلومة لا يرجع إلى خطأ في العضو الحاس، وإنما إلى خطأ في عملية إضفاء المعنى هذه. "فالحواس لا تخطئ، وإنما الخطأ من العقل" (١: ٢١٤)، وهذا الخطأ قد يرجع إلى تأثير المسافة التي تفصل العضو الحاس عن الموضوع المحسوس (١: ٩٧)، أو إلى ظاهرة الفروق الفردية بين الأفراد في هذه العملية (١: ٢١٣)، أو في درجة فهم ما تنقلة الحواس، فـ"من لم يفهم لم يوصل إليه شيء" (٤: ٢٥). وكل هذه الاحتمالات أثبتت صحتها بحوث علم النفس المعاصر.

وكان ابن عربي على وعي بظاهرة الفروق الفردية في فهم الأمثال التي يضربها القرآن للناس، وفي تأويلها، وفي أحوالهم وأمزجتهم، وفي تقدير ما يصلح لهم من أعمال، وذلك لتفاوت عقولهم -على حد قوله- واختلاف فطرتهم، وتفاضلهما. (انظر: ١: ١١٣، ٢٠٩، ٢٨٧، ٦١١، انظر: ٢: ٦٦، ٨٦، ١٩٠، انظر: ٣: ٢٥١، انظر: ٤: ٢٥). والفروق الفردية مبدأ نفسي أساسي في فهم الظواهر الإنسانية.

يشير ابن عربي إلى النية على أنها قصد الفعل (١: ٢٠٩) متفقًا في ذلك مع الإمام الغزالي وغيره، ويعتبرها سببًا مباشرًا للأعمال؛ صالحة أو طالحة، أو متفقًا في ذلك مع بعض علماء النفس الذين يعتبرون النية محددًا مباشرًا للسلوك والأفعال.

يشير ابن عربي إلى مراتب الحب، فإما طبيعي، أى حب العوام، وغايته الاتحاد في الروح الحيواني، فتكون روح كل منهما روحًا لصاحبه بطريق الالتذاذ وإثارة الشهوة، ونهايته من الفعل النكاح، أو حب روحاني نفسي وغايته التشبه بالمحبوب مع القيام بحق المحبوب ومعرفـــة قدره، أو حب الله للعبد لربـــه، ونهايته أن يشاهد العبد كونه مظهرًا للحق (انظر: ١١١، ٤: ٣٦-٣٧)، ويرى أن الحب -بأنواعه- يؤثر في حياة الفرد تأثير العقل، "الحب أملك للنفوس من العقل" (١٢: ٢).

يشير ابن عربي إلى دور العادة، وإدراك مترتبات الفعل على السلوك (٢: ١٣٢). ويتفق في ذلك مع نتائج البحوث النفسية الحديثة التي تبين أن لكل من الخبرة السابقة والعادات، وإدراك مترتبات أداء الفعل والاتجاهات وغيرها، دورها في تحديد السلوك بحيث يمكن التنبؤ بالفعل بناء علي هذه المتغيرات.

يشير ابن عربي إلى دور "الإيحاء" في العلاج النفسي، فيقول -عند حديثه عن "علم العلل والأدوية": "ويحتاج إليه من يربي من الشيوخ، ولا تنفع هذه الأدوية إلا فيمن يقبل استعمالها" (٢: ٣١٣). ويتفق هذا مع ما يراه المعالجون النفسيون من دور أساسي لرغبة المريض في العلاج. ويقدم ابن عربي تصنيفًا للعلل (انظر: ٢: ٣١٣-٣١٦) حيث يقسمها إلى علل أجسام -علل عقول (أمراض الاعتقادات)- علل نفوس (مرض في القول أو في الفعل أو في الحـــال)، ويعد فصله للمرض العقلي الذي يجعله ذا طبيعة معرفية، عن المرض النفسى الذي يتعلق -في رأيه- بالعلاقات الاجتمـــاعية فصلًا مقبولًا من الناحية المنهجية، كما يأتي تصنيفه لفئـــة خـــاصة من الأمراض، هي: أمراض العقول أو الاعتقـــادات متفقًا مع أحد الأســـاليب العلاجية الحديثة جدًا، وهو ما يسمى أسلوب العـــلاج العقلاني Rational Therapy الذي يقوم على أساس افتراض أن التفكير هو أهم الأسباب التي تؤدي إلى الانفعال الإنساني، ويتحكم فيه، وأن الاضطرابات النفسية أساسها غير منطقية.

يصنف ابن عربي (٣: ٢٣٧، ٢٦٣) النفوس إلى ثلاث مجموعات فطرية (النفس النباتية والحيوانية أو الشهوانية) - اجتماعية (النفس الغضبية) - النفس الناطقة.

ويذكر ابن عربي (٣: ٢٥١) "أن الانسان مرآة أخيه، فيرى منه ما لا يراه الشخص في نفسه إلا بواسطة مثله، فإن الإنسان محجوب بهواه متعشق به، فإذا رأى تلك الصفة من غيره، وهي صفته أبصر عيب نفسه في غيره... واعلم أن المَرائي مختلفة الأشكال، فإنها تُصَيِّر المَرْئيَّ عند الرائي بحسب شكله من طول وعرض واستواء وعوج واستدارة وزيادة وتعدد، وكل شيء يعطيه شكل تلك المرآة".

وفي هذه العبارة يشير إلى دور هوى الفرد وميوله في إدراكه للأشياء كما يشير إلى مبدأ نفسي معاصر يتمثل في نظرية العزو Attribution. نقطة أخيرة يشير إليها ابن عربي (٤: ٤٦٥-٤٦٦) تتعلق بسيكولوجية العلاقات المتبادلة Interpersonal Relations (عندما يتحدث عن الصحبة والجوار)، وهي مبحث نفسي حديث جدًا.

***

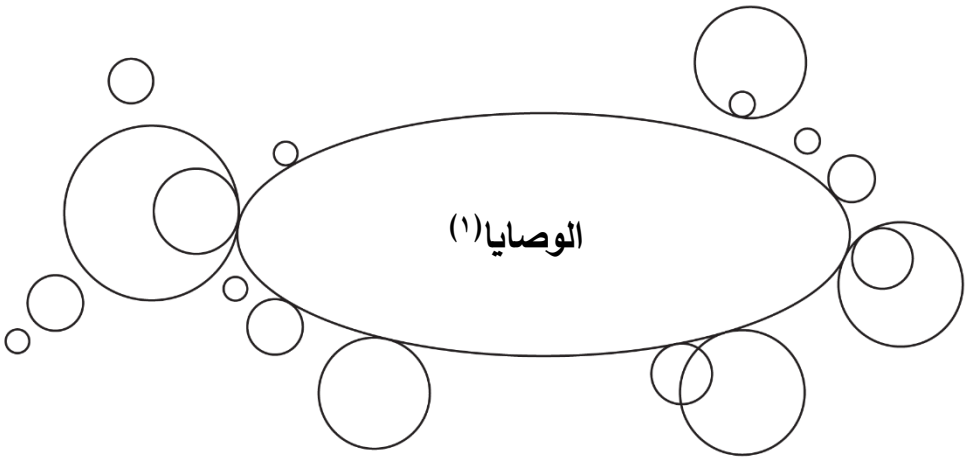

عرض: د. جمعة سيد يوسف

عرض الكتاب:

يقع الكتاب في ٢٦٥ صفحة من القطع المتوسط، ويشتمل على مقدمة بقلم المحقق، وبعد ذلك مجموعة الوصايا. وقد بدأ سردها بذكر كلمة "وصية" في بداية كل فقرة فيذكرها ثم يشرحها ويوضحها، ويذكر بعضها مباشرة، والبعض الآخر من خلال الحكايات والأمثال والروايات. وفي نهاية الوصايا بدأ يذكرها تحت عناوين رئيسية مثل "وصايا نبوية"، "ومن وصايا الصالحين"، و"وصايا نبوية محمدية". ولغة الوصايا هي النثر. ومع ذلك فهو يستعين بالشعر في بعض الأحيان، وهي في مجملها مستمدة من الآيات القرآنية، وأحاديث الرسول ﷺ، وبعض روايات الأنبياء والصالحين والحكماء. ويختم الكتاب بخاتمة وضعها الناشر لبيان عقيدة المؤلف ومذهبه.

وأول الوصـــايا التي يوصينـــا بها ابن عربي ألا نعصي الله في موضع حتى نعمل فيه طـــاعة، فـ﴿إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ﴾ [هود:١١٤]. وأن نحسن الظن بالله في كل الأحوال، وأن نذكره في السر والعلن، وفي النفس وبين النـــاس. وأن نثابر على إتيان جميع الأعمـــال الصـــالحة في كل الأحوال (ص٧). (ومفهوم المثابرة Persistence من المفـــاهيم التي تدرس في علم النفس الحديث كسمة من سمـــات الشخصية)، وأن نلـــزم أنفسنا بالحديث بعمل الخير وإن لم نفعله. وأن نثابر على: لا إله الإ الله، فهي كلمة

(١) (ط١)، القاهرة: دار الغد العربي، (١٩٨٨م) (٢٦٥ص).

الإسلام، وألَّا نعادي أهلها لأن لهم من الله الولاية العامة.

وعلينا باتباع ما افترضه الله علينا، على الوجه الذي أمرنا به، وأن نراعي أقوالنا كما نراعي أعمالنا، فالأقوال من جملة الأعمال. كما ينهانا عن تصوير التماثيل على شاكلة الأشياء التي لها روح. (ولعل هذه النقطة قد تبدو مسألة خلافية بين ابن عربي وبعض علماء النفس المحدثين، الذين يهتمون بدراسة عملية الإبداع Creativity من جوانب عدة، وفي مختلف أشكال الإبداع، سواء كانت قصصًا قصيرة، أو روايات، أو مسرحيات، أو أشعارًا، أو تصويرًا وغيرها، باعتبارها من المنجزات الإنسانية، وإن كانوا لا يهتمون هم أنفسهم بعملها) (ص١٧).

ويواصل ابن عربي سلسلة وصاياه القيمة فيأمرنا بضرورة عيادة المريض لما فيها من الاعتبار والذكر من ناحية، وإظهارًا للعطف والتراحم والتواصل من ناحية أخرى. وينهانا عن ظلم العباد، لأن «**الظلم ظلمات يوم القيامة**». كما ينهانا عن النوم إلا على وتر لأن الإنسان إذا نام قبض الله روحه إليه في الصورة التي يرى نفسه فيها. ويأمرنا بمراقبة الله عز وجل فيما أعطانا، وفيما أخذ منا. وأن نؤدي الأوجب من حق الله، وهو ألا نشرك بالله شيئًا من الشرك الخفي، وهو الاعتماد علي الأسباب الموضوعية. وينصحنا بالتواضع، والاغتسال في كل يوم جمعة، وأن يكون قبل الذهاب للصلاة، وأن نبتعد عن المراء في الدين، (أي البعد عن الجدال). ويحضنا على حسن الأخلاق وإتيان مكارمها، وتجنب السيئ منها.

ويعطي ابن عربي للعلم قيمة كبيرة، فيحضنا على استعماله في جميع الحركات والسكنات، وينصحنا بالتودد لعباد الله من المؤمنين، وذلك بإفشاء السلام، وإطعام الطعام، والسعي في قضاء حوائجهم (ص٣٩). (وهو هنا يضع الأسس للتواصل Communication، والتفاعل الاجتماعي Social Interaction).

ويدعونا إلى عدم الاكتراث بما قدره الله لنا في المصائب سواء كان في المال أو في الأهل والأصدقاء (ص٤٠). (ونجد في هذه الوصية إشارة غير مباشرة لأحد موضوعات علم النفس الحديث، وهو موضوع أحداث الحياة Life Events كأحد مثيرات المشقة Stressors والتي تسبِّب سوء التوافق Maladiustment). والوصية التالية يوصينا فيها بتلاوة القرآن، والنظر إلى ما فيه من الصفات التي وصف الله بها عباده ممن أحبهم فنتمسك بها، وإلى الصفـــات المذمومة فنبتعد عنها. ويوصينـــا أيضًا بمجـــالسة من ننتفع

بمجالسته في ديننا، من علم نستفيد منه، أو عمل مما يكون فيه، أو خلق حسن يكون عليه (ص٤٢)، (وهو هنا يبصرنا بكيفية انتقاء أصدقائنا مما يمكن أن يدخل في باب الصداقة Friendship كأحد عناصر المهارات الاجتماعية Social Skills، وهو ما يدرس –بصفة عامة– في علم النفس الاجتماعي). ويذكرنا –كذلك– بوجوب إقامة حدود الله في أنفسنا وفيمن نملك، ويحثنا على الصدق لما له من فضل. وأن نتصدى للجهاد الأكبر، وهو جهاد الهوى. (وهو يريدنا أن نتصف بعدد من الخصال كضبط النفس Self–Control، والصبر أو المثابرة Persistence، وهي من سمات الشخصية التي تدرس في علم النفس).

ويتدفق سيل الوصايا التي يقدمها ابن عربي، وكلها قيمة وهامة، فيوصينا بمراعاة كل مسلم من حيث هو مسلم (مبدأ المساواة)، والاقتداء بالصالحين، ويخص منهم أمير المؤمنين عمر بن الخطاب بما يتميز به من صفات طيبة وأخلاق كريمة (ص٥٠)، والتأسي بالصالحين يقابل أسلوب التعلم بالاقتداء Modeling، ويستخدم في التعلم الاجتماعي Social Learning، ويحثنا على حفظ حق الجار، وأن نقدم الأقرب، وأن ننعم عليهم بما أفاض الله علينا (وهو من مبادئ التكامل الاجتماعي).

وأن ننصر إخواننا ظالمين كانوا أم مظلومين، لنبعد عنهم وسوسة الشيطان من خلال النصح. (ويقابل الإرشاد النفسي أحد فروع علم النفس الحديث) (ص٣٥). كما يذكرنا بعدد من الخصال الكريمة التي ينبغي أن نتحلى بها، وهي الصدق في الحديث، وأداء الأمانة، والوفاء بالوعد، واجتناب الكذب والخيانة وخلف الوعد، وعدم الفجور في المخاصمة (ص٥٦–٨٥). (وهو هنا يلفت الأنظار إلى هذه الصفات، لنتحلى بها من ناحية، ومن ناحية أخرى يرسي مبادئ التنشئة الاجتماعية Socialization التي ينبغي أن نتبعها مع أطفالنا).

ويعلمنا ابن عربي عددًا آخر من الوصايا والأخلاق النبيلة التي تعود علينا بالنفع في الدنيا والآخرة. فيوصينا بالحياء، لأن الحياء من الإيمان، وأن نقدم النصح للآخرين، فالدين النصيحة (ص٥٦–٦٢). (وقد سبق أن أشرنا إلى أن ذلك يقابل ما يدرس في علم النفس تحت مسمى الإرشاد النفسي Counseling). ويدعو إلى المحافظة على الصلاة ومراعاة الحال بين الصلوات. ويأمرنا بالورع في النطق كما نتورع في المأكل والمشرب، وألا نخلف وعدنا مع الله، وأن نصل الرحم. ونحافظ على نظافتنا باستعمال الطيب والسواك. كما يعلمنا بعض الآداب العامة مثل كظم التثاؤب،

والإحسان لمن استطعنا، والاستئذان ثلاث مرات قبل الدخول على الناس، وحفظ الجوارح، الإصـــلاح بين الناس، والقضـــاء بين الناس بالحق، وعدم اتبـــاع الهوى (ص٧٦). (وهي صفة ينبغي أن يتحلى بها العلماء، وتسمى بالموضوعية Objectivity، وهي التي تجنبهم التحيزات الشخصية). كما ينهـــانا عن الأنانية، فيوصيـــنا بألَّا نخص أنفسنا بالدعاء إذا كنا أئمة، ويحذرنا من نكفر أحدًا من المؤمنين، أو نكون من شرار الناس بأن نسلط ألسنتنا عليهم.

ويحاول ابن عربي أن يعلمنا الصدق والالتزام، فيوصينا بأن نعمل الخير، وننصح أنفسنا به إذا قلناه أو وصلنا إليه، وألا نعمل بخلاف ما وصلنا إليه من دليل، وألا نقلد الآخرين إذا أمكننا الحصول على الدليل بأنفسنا. (وهو هنا يشجع الاجتهاد وإعمال الفكر، وتقديم المثل، وعدم الاتباعية (أو الاستقلال). ويلفت الأنظار إلى أن تكون الغيرة لله تعالى، ويحذر من الغيرة الطبيعية الحيوانية التي تستفز الفرد فتفقده صوابه. (وهو بهذا يأمرنا بضبط النفس، وعدم المسارعة في الغضب (ص١٠٩، ١١٠). وهذه الصفة تعتبر من سمات الشخصية التي تقع على بُعْد العصابية Neuroticism).

ويواصل ابن عربي المسيرة الإرشادية فيقدم عددًا من الوصايا التي يتركز معظمها على علاقة العباد بخالقهم، فيوصينا بإتيان الطاعة وترك المعصية، وكثرة السجود، والالتزام بالجماعة، وكثرة الاستغفار، والحفاظ على الصوم بألا نقترف فيه ذنوبًا. كما ينظم علاقتنا بإخواننا فيأمرنا بالدفاع عن أعراض المسلمين ما استطعنا، وألا يتناجى اثنان دون الثالث، حفاظًا على مشاعره، وأن نعطي لكل ذي مكانة مكانته ومقامه.

وتحت عنوان رئيسي "وصايا نبوية" يستكمل سلسلة وصاياه، وذلك من خلال حديث طويل بين الرسول ﷺ وابن عمه علي بن أبي طالب رضي الله عنه. وهذه الإرشادات والنصائح تتعلق بالعبادات، والمعاملات، والعقائد، وأشكال السلوك من الطعام والشراب، ومختلف جوانب الحياة. وهي نصائح غالية وقيمة، وبعضها ورد في الوصايا السابقة. كما يقدم تحت عنوان آخر "من وصايا الصالحين" وصايا غير منسوبة لأحد، ووصايا أخرى للمسيح عليه السلام، ووصايا يطلق عليها (وصايا نبوية روحية)، وأخرى بتنبيه أو بنصيحة، أو حكمية، ويختمها بتذكرة عن المسيح عليه السلام.

والعنوان الأخير في هذا الكتاب، والذي يستأنف ابن عربي حديثه في الوصايا تحته هو "وصـــايا نبوية محمدية". ويستقيها من أحـــاديثه عليه السلام، وخاصة حديثه الطويل

إلى أبي هريرة؛ نصائح خاصة بالوضوء، والطعام، والنوم، والجماع، والغسل، والإحسان إلى النساء، ومساعدة الناس (ص١٦٤-١٧٢). (وسلوك المساعدة Helping Behavior أحد الموضوعات التي تدرس في علم النفس الاجتماعي الحديث)، والعدل، واجتناب الكبائر وغيرها كثير. كما يوصينا بمحاسبة النفس، وعدم الادعاء في المعرفة، والإكثار من مساءلة الحكماء خاصة فيما يتصل بالعقل (ص١٧٢-١٧٤). (وموضوع العقل من الموضوعات التي تجد عناية فائقة في علم النفس تحت مسميات: الذكاء، والتفكير، والوظائف المعرفية، والعمليات الإبداعية، وغير ذلك). ويبرر ذلك بأن جميع الأشياء تدرك بالعقل. (ونجد أيضًا أن التطرق لموضوع الإدراك يعتبر سبقًا لأحد الموضوعات الهامة في علم النفس الحديث، وإن لم يفصل فيه القول في هذا الموضوع). كما يوصينا بالتواضع، والبعد عن النفاق، والذل في غير مسكنة، ومخالطة أهل الفقه والحكمة. ويؤكد لنا أن أصدق الوصايا وأنفعها ما ورد في القرآن الكريم. وأخيرًا يقدم لنا علاجًا ناجحًا لقلقنا ومخاوفنا، وهي الثقة بالمقادير لأنها تجلب الراحة.

وفي نهاية الكتاب يقدم الناشر خاتمة يوضح فيها للقراء عقيدة الشيخ محيي الدين بن عربي، كما ذكرها في الجزء الأول من كتابه "الفتوحات المكية".

أوجه الاستفادة من الكتاب في علم النفس:

يمكن الاستفادة من هذا الكتاب في مجالي علم النفس الاجتماعي، والإرشاد النفسي.

***

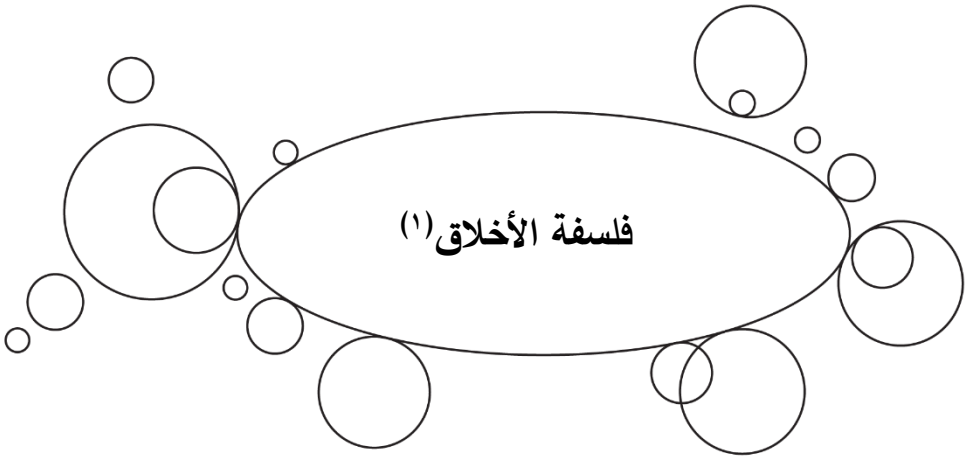

عرض: د. عبد اللطيف محمد خليفة

يشتمل الكتاب على الفصول التالية:

فصل في الأخلاق المذمومة:

وهي موجودة في كثير من الناس، كالبخل والجبن والظلم والشر. أما من يتسمون بالأخلاق الجميلة فقليلون جدًا، وذلك لأن الغالب على طبيعة الناس هو الشر، فالإنسان إذا لم يستعمل الفكر ولا التمييز ولا الحياء كان الغالب عليه أخلاق البهائم.

ويرتبط ما جاء في هذا الفصل بالسلوك الأخلاقي Moral Behavior (ص٧، ٨).

فصل في الأخلاق المحمودة:

فإنها وإن كانت في بعض الناس فليست في جميعهم، وإن الباقين يمكن أن يصيروا إليها بالتدريب والرياضة، ويترقوا إليها بالاعتياد والألفة. ثم تحدث المؤلف عن العلة الموجبة لاختلاف الأخلاق وهي النفس، وقسمها إلى ثلاث قوى: النفس الشهوانية، والغضبية، والناطقة، وجميع الأخلاق تصدر عن هذه القوى.

ويرتبط هذا الفصل بالسلوك الأخلاقي واكتسابه، وعلاقته بسمات الشخصية (ص٩). كما يرتبط بالدافعية Motivation (النفس الشهوانية)، وانفعالات (النفس الغضبية)، والعمليات العقلية (النفس الناطقة).

---

(١) القاهرة: محمد عطية الكتبي، [د.ت] (٦٤ص).

فصل في النفس الشهوانية:

وبها جميع اللذات والشهوات الجسمانية، وهذه النفس قوية جدًا ما لم يقهرها الإنسان ويهذبها. ويرتبط ذلك بموضوع الدوافع Motives خاصة فيما يتعلق بالسيطرة على الدوافع أو الرغبات (ص١٠، ١١).

فصل في النفس الغضبية:

ويشترك فيها الإنسان والحيوان، وهي التي يكون بها الغضب والجراءة ومحبة الغلبة. وهي أقوى من النفس الشهوانية، وأضر بصاحبها إذا ملكته وانقاد لها.

ويرتبط ذلك الفصل بموضوع الانفعالات (خاصة انفعال الغضب)، وكذلك بموضوع الدوافع (الدوافع إلى التملك والسيطرة) (ص١٢-١٤).

فصل في النفس الناطقة:

وهي التي يتميز بها الإنسان عن الحيوان، وبها يمكن للإنسان التمييز والفهم والتذكير، ومعرفة ما هو حسن وما هو قبيح، ومن خلالها يمكن للإنسان أن يهذب قوتيه: الشهوانية والغضبية. ويرتبط هذا الفصل بموضوع القدرات العقلية Mental Abilities، وكذلك بعملية الاقتداء Modeling بالنماذج. وخصائص هذه النماذج (ص١٤-١٧).

فصل في أنواع الأخلاق وأقسامها:

وهنا تحدث المؤلف عن المستحسن والمستحب من الأخلاق ويعد فضائل، والمستقبح منها والمكروه ويعد نقائص أو معائب. **أما التي تعد فضائل فمنها:** العفة، وهي ضبط النفس عن الشهوات، والاعتدال في الشهوات. ومنها: القناعة: وهي الاقتصار على ما سنح من العيش، والرضا بما يسهل من المعاش، وترك الحرص علي اكتساب الأموال، وطلب المراتب العالية في جميع ذلك، وإيثاره والميل إليه، وقهر النفس على ذلك. وكذلك التصون والتحفظ من الهزل ومخالطة أهله، وضبط اللسان من الفحش. أما الحلم وهو ترك الانتقام عند شدة الغضب مع القدرة على ذلك، وهو بالرؤساء والملوك أحسن لأنهم أقدر على الانتقام من مغضبيهم.

ومنها الود وهي المحبة المعتدلة من غير اتباع الشهوة، والود مستحسن من الإنسان إذا كان وده لأهل الفضل والنبل وذوي الوقار. ومنها الرحمة وهي خلق مركب من الود والجزع.

وهي لا تكون إلا لمن ظهر منه لراحمه خلة مكروهة. ومنها الوفاء وهو الصبر على

ما يبذله الإنسان من نفسه. ومنها أداء الأمانة وكتمان السر، ومنها التواضع، وكذلك صدق اللهجة، وهو الإخبار عن الشيء علي ما هو به، ومنها سلامة النية، والسخاء، والشجاعة، والمنازعة، والصبر، وعظمة الهمة، والعدل.

وأما الأخلاق الرديَّة التي تعد نقائص ومعايب؛ فإن منها:

الفجور، وهو الانهماك في الشهوات وارتكاب الفواحش والمجاهرة بها. والتبذل، وهو اطراح الحشمة وترك التحفظ عن الهزل ومخالطة السفهاء. والسفه، وهو ضد الحلم، وهو قمة الغضب والطيش مِن يَسير الأمور. ومنها الخرق، وهو كثرة الكلام وشدة الضحك والمبادرة إلى الأمور من غير توقف، وسرعة الجواب. ومنها أيضًا القساوة، وهو خلق مركب من البغض والشجاعة والقساوة، وهو التهاون بما يلحق الغير من الألم والأذى. ومنها الغدر، وهو الرجوع عما يبذله الإنسان من نفسه ويضمن الوفاء به. ومنها إفشاء السر، والكبر، والعبوس، والكذب، والبخل، والحسد، وصغر الهمة.

ومن الأخلاق ما هو في بعض الناس فضيلة، وفي بعضهم رذيلة، ومنها حب الكرامة والتبجيل والمقابلة بالمديح والثناء الجميل، وهو خلق محمود في الأحداث والصبيان. وذلك لأن الصبي إذا مدح على فضيلة ترى فيه كان ذلك داعيًا له من الازدياد من الفضائل.

وأما الأفاضل من الناس فإن ذلك يعد منهم نقيصة لأن الإنسان يمدح على الفضيلة إذا كانت مستغربة منه. ومنها أيضًا حب الزينة، وهو مستحسن من الملوك والعظماء. ومنها الزهد، وهو قلة الرغبة في الأموال والادخار، وإيثار القناعة. وهذا الخلق مستحسن من العلماء والرهبان ورؤساء الدين والخطباء والواعظين، وغير مستحسن من الملوك.

ويرتبط ما سبق بموضوع القيم الأخلاقية Moral Values، وسمات الشخصية Personality Traits، وكذلك بموضوع الانفعالات Emotions، والحالة المزاجية، وأنماط الانفعالات (ص١٧-٣٥)، كما أن هناك إشارة واضحة لعمليات التشجيع والتدعيم Reinforcement في اكتساب القيم الأخلاقية (ص٣١).

فصل في طريق الارتياض بالأخلاق:

ويتحدث فيه المؤلف عن سبب اختلاف الأخلاق في الناس، وأنه يرجع إلى

اختلاف قوى النفس الثلاث فيهم، وهي الشهوانية والغضبية والناطقة. وأن ملاك الأخلاق هو تذليل الشهوانية منها والغضبية، وتمييز عادات النفس الناطقة، واستعمال المحمود من أفعالها، وطريق التدرج لاستعمال العادات الجميلة، والعدول عن العادات المستقبحة.

ويرتبط هذا الفصل بموضوع الدوافع (خاصة قمع الدوافع والتحكم فيها) من خلال ما يسمى بالنفس الناطقة (أو العقل)، وهو ما يمكن أن يدخل في موضوع تغيير الاتجاهات Attitudes Change، وبرامج الإرشاد والتوجيه النفسي Guidance and Counseling (ص٣٦-٤٦). كما يرتبط بموضوع الفروق الفردية، كما يشير إلى أحد الأساليب الهامة في تعديل السلوك، وهو التدرج في تعلم العادات الحسنة، وفي التخلي عن العادات السيئة.

فصل في أوصاف الإنسان التام الجامع لمحاسن الأخلاق:

وهو الإنسان الذي لم تفتنه فضيلة، ولم تشنه رذيلة. وهذا الحد قلما ينتهي إليه إنسان، وإذا انتهى الإنسان إلى هذا الحد كان بالملائكة أشبهَ منه بالناس.

فصل لمن طالب السياسة التامة:

أن يستهين بالمال ويحتقره، وينظر إليه بالعين التي يستحقها. فالمال إما يراد بغيره وليس مطلوبًا فهو في نفسه غير نافع، وإنما الانتفاع بالأغراض التي تناول به. ثم تحدث بعد ذلك عن محبي الكمال بأنه يجب عليهم أن يعلموا بأنه لا شيء من العيوب والقبائح خافيًا علي الناس، وأن الحسن واضح، ويجب التمييز بينهما عند التعامل مع الآخرين.

أوجه الاستفادة من الكتاب في علم النفس:

يمكن الاستفادة من هذا الكتاب في مجالي علم النفس العام، وعلم النفس الاجتماعي.

***

عرض: د. جمعة سيد يوسف

عرض الكتاب:

هذه المجموعة من الرسائل (ثماني رسائل) للشيخ الأكبر محيي الدين بن عربي، تقع ضمن مجموعة أخرى من الرسائل لمفكرين آخرين كالشيخ الرئيس ابن سينا والغزالي، والجوزجاني، وغيرهم. وقد جمعت هذه المجموعة من الرسائل في كتاب ضخم (ينقسم إلى قسمين متتالين) عدد صفحاته ٦٣٥ صفحة من القطع الصغير. وللشيخ ابن عربي في هذه المجموعة أيضًا رسالة تهذيب الأخلاق (وقد سبق عرضها من قبل)، وتحتل هذه المجموعة من الرسائل، وهي بعنوان: "تاج الرسائل ومنهاج الوسائل" آخر هذه المجموعة (ص٥٥٣-٦٢٥) متصلة.

وتضم الرسائل: الرسالة الإلهية، والرسالة القدسية، والرسالة الاتحادية، والرسالة السريانية، والرسالة المشهدية، والرسالة الفردوسية، والرسالة العذرية، والرسالة الوجودية.

يضم هذا الكتاب عدة رسائل -كما سبق أن ذكرنا- يبدؤها المؤلف بالتعريف بالكتاب، فيقول: هذا الكتاب تاج الرسائل ومنهاج الوسائل في إيضاح المعاني الإلهية المودعة في المعاني الروحانية مما جرى بيني وبين الكعبة المعظمة عند طوافي بباب المكاشفة والمطالبة، ثم يثني على الله عز وجل، ويصلي على نبيه ﷺ.

---

(١) تحقيق: محيي الدين صبري الكردي، القاهرة، [د.ت] (٨١ص).

والرسالة الأولى في هذه المجموعة:

هي الرسالة الإلهية، ويوجهها إلى من يطلق عليها "كعبة الحسن، وروضة المزن". وهي رسالة بليغة، رشيقة الأسلوب، يمس فيها موضوعات شتى، يبث الكعبة من خلالها شوقه وحبه.

– من خلال حديثه يشير إلى ضرورة تنبه الحواس لتلقي النصح. (وهو يشير هنا إلى أحد المبادئ الهامة التي توصل إليها علم النفس الحديث هو الانتباه Attention، وعلاقته بالتحصيل الجيد) (ص٥٥٩). ثم يذكر الإشارة والتلويح في مقابل التصريح. (وهي ضمن ما يدرسه علماء النفس في موضوع التخاطب Communication أو في باب الإشارات الاجتماعية) (ص ٥٥٩، ٥٦٢).

– يتعرض أيضًا للحب ودرجاته، ومراحله. (وهو يقابل الحب كأحد الانفعالات مما يدرس في علم النفس العام) (ص٥٥٩، ٥٦٤).

– ويذكر كذلك عملية تعثر النطق. (وهو بغض النظر عن أسبابه وما يعنيه به المؤلف من عيوب الكلام أو الاضطرابات الكلامية التي تلقى العناية من علماء النفس) (ص٥٦٠).

– ويعود مرة أخرى ليذكر بعض عناصر التخاطب وهي: "رسائل ووسائل واستماع". (ومن المعروف الآن أن المهتمين بالتخاطب يدرسون عناصره، وهي المرسل وخصاله، والمستقبل (أو المستمع) وخصاله، والرسائل (مضمونها)، والوسائل التي تنتقل من خلالها (كاللغة المنطوقة، أو الإشارات أو غير ذلك) (ص٥٦٥).

– ويقول ابن عربي في موضع آخر من هذه الرسالة: "كم من لسان عجمي قلبه عربي، وكم من لسان عربي قلبه عجمي.

ومن أقواله كذلك: "فديت يا كعبة الحسن قلبًا يفهم إشاراتي إليك، وإيمائي، ومقاصدي وإيحائي، ويبيِّن رمزها، ويفك معناها، ويحل لغزها، طلسمات سيمياوية، وتنبيهات كيماوية". والجزء الأول من هذه العبارة يدخل –كما سبق أن قلنا– في باب التخاطب، بل إن تعريف التخاطب في بعض القواميس الأجنبية الحديثة يتشابه إلى حد كبير مع ما ورد في هذا السياق، مع التسليم بأن الموقف هنا موقف مجازي حيث المخاطب هو الكعبة المشرفة.

الرسالة الثانية: (الرسالة القدسية):

ويمضي فيها كما في سابقتها، فيتعرض أولًا للحب والعشق. (وهي من الانفعالات

كما قلنا)، كما يذكر العلاقة بين الإحساس بالألم، والتخدير (مجازًا). ونحن نعلم أن للعوامل النفسية دورًا مهمًا في مدى الإحساس بالألم (ص٥٦٩).

– ويعرض بعد ذلك للعقل وما يصيبه من حالات العشق والهيام (ص٥٧٠).

– ثم يعود مرة أخرى ليذكر الإرشادات، ثم يضيف لها الإدراكات والإحاطات. (وهي من الموضوعات ذات الصلة بعلم النفس) (ص٥٧٢).

– ويذكر كذلك أن هناك معنًى يربط بين العقل والنفس، ولكنه لا يفصح عنه. (ومجرد الإشارة هنا تنطوي على الكثير بالنسبة لدارسي علم النفس ومحاولاتهم التفرقة أو التمييز بين ما هو عقلي وما هو نفسي، كما هو الحال في الأمراض على سبل المثال) (ص٥٧٢).

الرسالة الثالثة: (الرسالة الاتحادية):

– يتعرض في هذه الرسالة لتعريف الروح فيقول: "فإن روح الحيرة بخار لطيف له سريان شريف، ينحل من رطوبة الدم، وينتشر في جميع أعضاء الجسم، به تكون الحيرة في هذه الأشباح، وهو المعبر عنه بالأرواح، ومادته من الاستنشاق الهوائي بالقوة الشمية لترويح الحرارة التي في القلب الغريزية".

وقدم ابن عربي كذلك بعض ما يصيب النفس من الرزايا، والمنايا، والبلايا (ص٥٨٢).

– ويرى ابن عربي –كما يرى ابن سينا والغزالي– أن النفس لها ثلاث قوى: الأولى القوة الناطقة حضرتها الدماغ (أى مكانها)، ولها فيه منازل على عدد النوازل يحفظها في اللفظ، الخيال في مقدمة الدماغ ليلقى المحسوسات، والفكر في وسط الدماغ للتمييز والترجيح في القضايا والحكومات والحفظ لصون ما حكم به الفكر في القضيات. فالفكر حاكم محقق، والخيال شاهد مصدق، والحفظ أمين موثق. فهذه القوة الناطقة بكمالها قد تميزت، وفي صدر مركبها قد تبرزت. أما القوة الثانية فهي القوة الغضبية وحضرتها القلب. وأما القوة الثالثة فهي القوة الشهوية وحضرتها الكبد، ولهذا لها تدبير الجسد. (وهذا الكلام الأخير يدخل في صميم علم النفس مع بعض التحفظات التي نختلف فيها مع ابن عربي)، فتقسيم النفس (أو الإنسان) إلى قوى (أو قدرات) كالتفكير والخيال والحفظ، ثم محاولة تحديد مواضعها في الجسم، (بينما يحاول علماء النفس تحديد مواضعها في الدماغ أو المخ Brain). نجد لكل ذلك

صدى في دراسات علم النفس الحديث كعلم النفس العام، وعلم النفس الفسيولوجي، وعلم النفس العصبي) (ص٥٨٣).

الرسالة الرابعة: (الرسالة السريانية):

– ويعود ابن عربي مرة أخرى ليردد بعض ما سبق، والذي نجد له دلالة في الدراسات النفسية –كما سبق أن أشرنا– مثل الإشارات الصريحة والضمنية (ص٥٨٨)، وكذلك التذكر (ص٥٨٨).

– كما يربط في موضوع تال بين العقل، ومرتبة العلم. (وإذا عاملنا العقل باعتباره الذكاء مثلًا، والعلم "بتحصيل المعرفة" فإن لذلك مماثلًا في دراسات علم النفس، حيث ندرس العلاقات بين الذكاء والتحصيل Achievement) (ص٥٩٢).

الرسالة الخامسة: (الرسالة المشهدية):

– كما حدث في الرسائل السابقة نجد حديثًا عذبًا عن الحب العشق وماهيته. (وهو ما يدخل في باب الانفعالات كما سبق أن قلنا) (ص٦٠٤). كما يتحدث عن تعدد اللغات وأثر ذلك في التخاطب (ص٦٠٥). كما يقرن في موضع آخر بين الذكاء والهمة، (أو لنقل الربط بين الذكاء والإيجاز) (ص٦٠٦).

– ويتعرض للوسواس، وكيف يعالج بالتمائم والرقى. (ونحن نتفق معه حول الوسواس باعتباره مرضًا يجب التداوي منه) (ص٦٠٦). ويقوم علماء النفس المحدثون بعلاج الوساوس بوسائل وأساليب حديثة تختلف عن الوسائل والأساليب التي كانت متبعة في الماضي.

الرسالة السادسة: (الرسالة الفردوسية):

– مما ورد في هذه الرسالة عبارات يذكر منها الإحساس والحواس، والتمييز بين اللذة الحسية، والسرور العقلي والنعيم العلمي (ص٦١٠)، كما يحض على رفع الالتباس بصحيح القياس (ص٦١١).

– ويربط كذلك في موضع آخر بين الفهم والإدراك. (وهي قضية أثيرت ونوقشت في بعض كتابات علم النفس الحديث) (ص٦١٤).

الرسالة السابعة: (الرسالة العذرية)

ويمضي ابن عربي بنفس طريقته في الرسائل السابقة، يبث أشواقه وهمومه ودعاءه

إلى كعبة الحسن. ولم نقف علي شيء يمكن الإفادة منه في دراسات علم النفس بشكل مباشر أو غير مباشر.

الرسالة الثامنة والأخيرة: (الرسالة الوجودية):

– ويبدأ هذه الرسالة بتوضيح شرف العلم، ويرى أن أشرف العلوم مرتبة وأعظم المعارف منزلة معرفة النفس، والرب (ص٦٢٦).

***

عرض: د. معتز سيد عبد الله

التعريف بالمؤلف:

هو الإمام المحدث والشيخ الحافظ المتقن عبد العظيم بن عبد القوي بن عبد الله بن سلامة بن سعد: الحافظ الكبير، والورع الزاهد، شيخ الإسلام، زكي الدين أبو محمد المنذري الشامي ثم المصري، ولي الله، المحدث عن رسول الله ﷺ، والثبت الحجة الذي أنفق حياته في طلب العلم وتعليمه، وشرح حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم وتخريجه، والذي بين صحيحه وحسنه، ومرسله وضعيفه، وأفاد العالم بذكر رواة الحديث، واتقى ربه فأثمر علمه. وأخلص في علمه فأينعت تعاليمه، وجاهد في الله حق جهاده فبارك الله في تلاميذه، وكان لنا مثلًا أعلي وقدوة تحتذى.

كتب عنه وتحدث علماء أجلاء أذكر منهم: صاحب تذكرة الحفاظ في الجزء الرابع من كتابه، والسيوطي في الجزء الأول من حسن المحاضرة، والعماد الأصفهاني في الجزء الخامس من شذرات الذهب، والسيوطي في طبقات الحفاظ، وصاحب البداية والنهاية في الجزء الخامس عشر، وصاحب الوفيات في الجزء الأول، وصاحب النجوم الزاهرة في الجزء السابع... إلخ.

ويحدد أبو المحاسن في النجوم الزاهرة تاريخ وفاته في سنة ٦٥٦هـ، ويسميه الإمام

(١) تحقيق: يسري عبد الغني عبد الله، بيروت: دار الكتب العلمية، (١٩٨٧م)، (١١٢ص).

الحافظ، الحجة، ويذكر اسمه كاملًا: (أبو محمد زكي الدين عبد العظيم بن عبد القوي بن عبدالله بن سلامة)، ولكن في نسخة أخرى من النجوم الزاهرة نجد أن جده الأخير: (عبدالسلام)، ولكن بالرجوع لتذكرة الحفاظ، والمنهل الصافي، وفوات الوفيات، وشذرات الذهب؛ نعرف أن جده الأخير هو (سلامة) وليس (عبد السلام).

ويواصل أبو المحاسن التعريف بالمنذري فيقول: (عبد العظيم بن عبد القوي بن عبدالله بن سعد بن سعيد المنذري)، أما ميلاده فكان في (٥٥١هـ). وهو دمشقي الأصل، إلا أن ميلاده كان بالقاهرة، كذلك إقامته ووفاته.

وقد رحل المنذري إلى مكة المكرمة، وسمع الحديث النبوي من أبي عبد الله بن البناء وطبقته، ثم ذهب إلى دمشق السورية، وسمع من عمر بن طردذ، ومحمد بن وهب بن الشريف، والخضر بن كامل، وأبي اليمن الكندي، وخلقٍ، ثم سمع بـ(حران) والرها والإسكندرية وغيرها من بلاد المعمورة الإسلامية.

ومن مؤلفاته: شرح على التنبيه (فقه)، ومختصر سنن أبي داود وحواشيه (كتاب مفيد يسطع ضوؤه لكل مسلم)، ومختصر صحيح مسلم، ومعجم المنذري، وكتاب الجامع في الترغيب والترهيب، وكتاب الخلافيات (ذكره الذهبي)، وكتاب مذاهب الفلاسفة (ذكره الذهبي).

عرض الكتاب:

يقع الكتاب في ٧١ صفحة من القطع المتوسط، ويتكون من أربعة أبواب يدور مضمونها حول فضائل بعض العبادات هي الصلاة، والصوم، والصدقة، والدعاء، والذكر. وينتهي الكتاب بفهرس مفصل للمواصفات. وهو ما نعرض له على النحو التالي:

الباب الأول في الصلاة:

وفيه يعرض المؤلف لفضل الصلاة وقيمتها بالنسبة لحياة المسلم. ومن ضمن ما جاء في فضل الصلاة أن روى أبو هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**الصلوات الخمس والجمعة إلى الجمعة كفارات لما بينهن ما لم يغش الكبائر**».

وعن فضل الصلاة لأول وقتها روى عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: سألت النبي ﷺ: «أي العمل أحب إلى الله عز وجل؟ قال: "**الصلاة على وقتها**.

قلت: ثم أي؟ قال: **بر الوالدين**. قلت: ثم أي؟ قال: **الجهاد في سبيل الله»**. قال: حدثني بهن ولو استزدته لزادني. متفق عليه.

وعمَّا جاء في فضل الجماعة روى أبو هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**صلاة الجماعة أفضل من صلاة أحدكم وحده بخمسة وعشرين جزءًا**»، متفق عليه.

وعمَّا جاء في ركعتي الفجر روى سعيد بن هشام عن عائشة –رضي الله عنها– قالت: قال رسول الله ﷺ: «**ركعتا الفجر خير من الدنيا وما فيها**»، انفرد به مسلم.

وعمَّا جاء في فضل المحافظة على الفجر والعصر؛ روى أبو بكر بن عمارة بن رؤيبة عن أبيه قال سمعت: رسول الله ﷺ يقول: «**لن يلج النار أحد صلى قبل طلوع الشمس وقبل غروبها**». يعني الفجر والعصر. انفرد به مسلم.

وعمّا جاء في صلاة الضحى روى أبو الدرداء رضي الله عنه: «**أوصاني حبيبي بثلاث أن لا أدعهن ما عشت: بصيام ثلاثة أيام من كل شهر، وصلاة الضحى، وبأن لا أنام حتى أوتر**»، انفرد به مسلم.

وعمَّا جاء في عدد ركعات الضحى، قد تقدم أنها ركعتان، وروت معاذة عن عائشة قالت: «**كان رسول الله ﷺ يصلي الضحى أربعًا، ويزيد ما شاء الله**»، انفرد به مسلم.

وعمّا جاء في صلاة قبل الظهر وبعدها روت أم حبيبة –رضي الله عنها– قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**من حافظ على أربع ركعات قبل الظهر وأربع بعدها حرمه الله على النار**».

وعمَّا جاء فيمن صلى في يوم اثنتي عشرة ركعة؛ روت أم حبيبة أنها سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**ما من عبد مسلم يصلي لله تعالى اثنتي عشرة ركعة تطوعًا من غير الفريضة إلا بنى الله له بيتًا في الجنة**»، انفرد به مسلم.

وأهم المفاهيم السيكولوجية التي يشتمل عليها هذا الباب هي المقصد أو النية Intention (ص١٥)، والالتزام الديني Religious Commitment (ص١٦، ١٧).

الباب الثاني: في الصيام (أحكامه وفضائله):

وفيـــه يعرض المؤلف لأحكام الصيــام وفضائله بالنسبة لحياة المسلم. فقد روى أبو هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**قال الله عز وجل: كل عمل ابن آدم له إلَّا**

الصيام، فإنه لي وأنا أجزي به. فإذا كان يوم صوم أحدكم فلا يرفث، ولا يصخب، فإن سابه أحد أو قاتله فليقل: إني صائم. والذي نفس محمد بيده لخلوف فم الصائم أطيب عند الله تعالى يوم القيامة من ريح المسك، وللصائم فرحتان يفرحهما؛ إذا أفطر فرح بفطره، وإذا لقي ربه فرح بصومه»، متفق عليه.

وعمّا جاء في صوم المحرم روى أبو هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**أفضل الصيام بعد شهر رمضان شهر المحر**م»، انفرد به مسلم.

وعمّا جاء في صيام عاشوراء روى أبو قتادة الأنصاري رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ سئل عن صومه، فذكر الحديث إلى قوله: «وسئل عن صوم يوم عاشوراء، فقال: **يكفر السنة الماضية**»، انفرد به مسلم.

وعمّا جاء في صوم شعبان روت عائشة –رضي الله عنها– قالت: «**كان رسول الله ﷺ يصوم حتى نقول: لا يفطر، ويفطر حتى نقول: لا يصوم. وما رأيت رسول الله ﷺ استكمل صيام شهر قط إلا رمضان، وما رأيته في شهر أكثر منه صيامًا في شعبان**»، متفق عليه.

وهناك دلائل أخرى مماثلة عن فضائل صيام ستة أيام من شوال، وعشر من ذي الحجة، ويوم عرفة، وثلاثة أيام من كل شهر، ويوم الاثنين.

وأهم المفـــاهيم السيكولوجية التي يشتمل عليـــها هذا البـــاب هي: ضبط النفس Self–Control (من ص ٣٢ إلى ٤٠).

الباب الثالث: (باب الصدقة):

وفيه يعرض المؤلف لفضل وقيمة الصدقة بالنسبة للمسلم مهما صغر حجمها أو مقدارها.

فقد روى أبو هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**ما من يوم يصبح العباد فيه إلا ملكان ينزلان، فيقول أحدهما: اللهم أعط منفقًا خلفًا، ويقول الآخر: اللهم أعط ممسكًا تلفًا**»، متفق عليه.

وروى عدي بن حاتم رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ: "أنه ذكر النار فتعوذ منها وأشاح بوجهه، ثلاث مرات، ثم قال: «**اتقوا النار ولو بشق تمرة، فإن لم تجدوا فبكلمة طيبة**»، متفق عليه.

وأهم المفـــاهيم السيكولوجية التي يشتمل عليها هذا الباب هي: الغيرية Altruism

(ص٤١-٤٩)، والتعاون Cooperation (ص٤١-٤٩)، والثواب Reward (ص٤٩).

الباب الرابع (في الدعاء والذكر):

وفيه يعرض المؤلف لفضل الدعاء والذكر بالنسبة للمسلم. فقد روى النعمان بن بشير رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «**الدعاء هو العبادة، ثم قرأ: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾**» [غافر:٦٠].

وهناك أدعية عديدة تناسب كل الأوقات والمناسبات، كان الرسول عليه الصلاة والسلام يذكرها، فمنها ما يقال عند الاستيقاظ من النوم، ومنها ما يقال عند دخول الخلاء، ومنها ما يقال بعد الفراغ من الوضوء، ومنها ما يقال عند الصباح، ومنها ما يقال عند سماع الأذان، ومنها ما يقال بعد التسليم من الصلاة، وما يسبح به في الأيام، وفضل التسبيح، ومنها ما يقال عند القيام من المجلس، ومنها ما يقال عند المساء.

وأهم المفاهيم السيكولوجية التي يشتمل عليها هذا الباب هي: التوقيع Expectation، والتمني والرجاء (ص٥٠-٦٧).

***

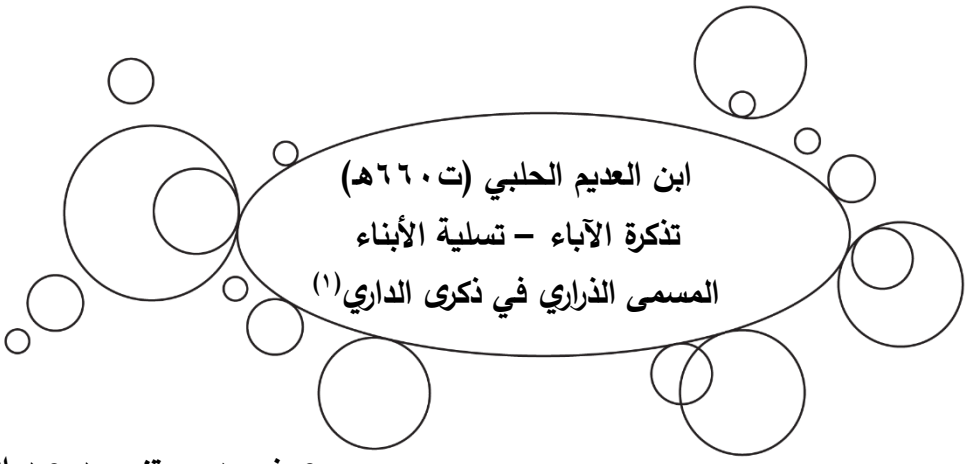

عرض: د. معتز سيد عبد الله

التعريف بالمؤلف:

هو الإمام كمال الدين أبو حفص (أو) أبو القاسم عمر بن أحمد بن هبة الله الشهير بابن العديم الحلبي، والمعروف بابن أبي جرادة، من أعيان أهل حلب وفضلائهم، وبيت أبي جرادة بيت مشهور من أهل حلب، وأدباء، وشعراء، وفقهاء، يتوارثون الفضل كابرًا عن كابر، وتاليًا عن غابر.

ولد بحلب في سنة ثمان وثمانين وخمسمئة، ورحل إلى دمشق، ثم فلسطين، ثم الحجاز، ثم العراق، ثم استقر في القاهرة حتى توفي.

سمع من أبيه ومن جماعة كثيرة بدمشق وحلب والقدس والحجاز والعراق، انتهت إليه رئاسة أصحاب أبي حنيفة. وكان محدثًا فاضلًا، حافظًا مؤرخًا، كاتبًا بارعًا، شاعرًا مجيدًا، وكان إمامًا في فنون كثيرة. كان قد قدم مصر لما جفل الناس من التتر، ثم عاد بعد خراب حلب، ثم عاد إلى القاهرة ومات بها سنة (٦٦٠هـ)، ودُفن بالقرافة.

له تصنيفات رائعة منها: بغية الطلب في تاريخ حلب – مخطوط، وهو كبير جدًا، وقد اختصره في كتاب آخر سماه: زبدة الطلب في تاريخ حلب، ومنها كذلك: سوق الفاضل ووصف الطيب، والأخبار في ذكر بني جرادة، والإنصاف والتحري في دفع الظلم والتجري عن

(١) تحقيق: علاء عبد الوهاب محمد، ط١، القاهرة: مكتبة التوعية الإسلامية، (١٩٨٤م)، (٩٤ص).

أبي العلاء المعري، والتذكرة. ومن مصادر ترجمته معجم الوفيات، وفوات الوفيات، وإرشاد الأريب، والجواهر المضيئة، وأعلام النبلاء، ومجلة المجمع العلمي العربي، والفهرس التمهيدي، والنجوم الزاهرة.

عرض الكتاب:

يقع الكتاب في ٩٤ صفحة من القطع المتوسط، ويتكون من ثلاثة عشر بابًا يدور مضمونها حول تقديم مجموعة من النصائح والتوصيات التي يجب أن يلتزم بها الآباء في تربيتهم لأبنائهم، وما يعود عليهم من نفع أو ضرر لإنجابهم الأولاد، وخصائص النجباء والحمقى منهم، وحقوق الأبناء على الآباء، وواجب الأبناء نحو آبائهم ...إلخ. وينتهي الكتاب بعرض فهرس تفصيلي للمراجع، وآخر للموضوعات.

وهو ما نعرض له النحو التالي:

الباب الأول: في اكتساب الأولاد والحث عليه:

ويتلخص في أنه دعوة إلى التناسل والإكثار من إنجاب الذرية الصالحة التي تسبح بحمد الله تعالى. فقد قال رسول الله ﷺ: «**تناسلوا فإني أباهي بكم الأمم يوم القيامة**».

وقال عمر رضي الله عنه: "إني لأكره نفسي على الجماع رجاء أن يخرج الله نسمة تسبحه وتذكره". وذهب أبو حنيفة رضي الله عنه إلى أن الاشتغال بالنكاح أفضل من التخلي لنفل العبادة؛ من حيث إنه يفضي إلى الولد الذي به بقاء العالم إلى الأمد الموعود، وعود مصلحة الولد حيًّا وميتًا بنصره لوالده في حال حياته، والنفقة عليه على تقدير الحاجه إليه، وإمداده إياه بأنواع الثواب بعد وفاته من الدعاء والصدقة والترحم عليه بسببه.

ومن المفاهيم السيكولوجية التي اشتمل عليها هذا الباب مفهوم الدافع الجنسي Sex Motive، (وهو دافع بيولوجي المنشأ)، والدافع إلى الأبوة، (وهو دافع اجتماعي المنشأ). وهما على علاقة ببعضهما البعض.

الباب الثاني: في المنع من اكتسابهم والتحذير منهم:

ويتلخص في أنه دعوة إلى المنع من اكتساب الأولاد حتى لا يكون ذلك الشغل الشاغل للإنسان يبتعد به عن عبادة الله تعالى. وهذه الدعوة تقابل تلك التي عرضنا لها

في الباب الأول، وهي الدعوة إلى اكتساب الأولاد والحث عليه، فقد قال الله عز وجل: ﴿إِنَّ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ عَدُوًّا لَّكُمْ فَاحْذَرُوهُمْ﴾ [التغابن:١٤]. وقال النبي ﷺ: «**لا يكن أكثر شغلك بأهلك وولدك، فإن يكن أهلك ولدك أولياء الله فإن الله لا يضيع أولياءه، وإن يكونوا أعداء الله فهمك وشغلك بأعداء الله**».

وسئل فيلسوف: لِمَ لا تطلب الولد؟ فقال: من محبتي للولد. وقيل لآخر: لو تزوجت فكان لك ولد تذكر به، فقال: والله ما رضيت الدنيا لنفسي فأرضاها لغيري. وقيل لبعض الأعراب: لِمَ لا تتزوج؟ فقال: مكابدة العزوبة أصلح من الاحتيال لمصلحة العيال.

ومن المفاهيم السيكولوجية التي اشتمل عليها هذا الباب الخوف Fear، والقلق Anxiety، والعداوة Hostility (ص١٨-٢٠).

الباب الثالث: في مدح الأولاد وذكر النعمة بهم:

ويتلخص في أنه دعوة إلى مدح الأولاد وذكر النعمة بهم، فهم من نعم الدنيا التي أنعم بها الله تعالى: ﴿الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ [الكهف:٤٦]، وقال النبي ﷺ: «**الولد ثمرة القلوب**»، وقال عليه الصلاة والسلام: «**الولد ريحان من الجنة**»، وقال عليه الصلاة والسلام: «**البنات حسنات، والبنون أنعم، والنعم مسؤول عنها**».

وقال الفضيل: ريح الولد من الجنة. وكان يقال: ابنك ريحانتك سبعًا، ثم خادمك سبعًا، ثم عدو أو صديق. وقال الحجاج لابن القرية: أي الثمار أشهى؟ قال: الولد، وهو في نخل الجنة.

ومن المفاهيم السيكولوجية التي اشتمل عليها هذا الباب "القيم المادية" (ص٢١-٢٤)، والقيم الأسرية Family Values (ص٢١-٢٤)، والتعاطف Empathy (ص٢١-٢٤)، المودة Intimacy (ص٢١-٢٤).

الباب الرابع: في ذمهم وما يلحق الآباء من التعب بسببهم:

ويتلخص في أنه دعوة إلى التحذير من الأبناء لما يمكن أن يسببوه من مكروه ومتاعب في الدنيا لآبائهم. ويقابل هذا الفصل في السابق، والخاص بمدح الأولاد وذكر النعمة بهم. فقد قال الله تعالى: ﴿إِنَّ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ عَدُوًّا لَّكُمْ﴾ [التغابن:١٤]. وقال النبي ﷺ: «**الولد مبخلة مجبنة مجهلة**»، ويروى: محزنة، وقال ﷺ لولد فاطمة رضي الله عنها: «**إنكم لتجبنون، وإنكم لتبخلون، وإنكم لمن ريحان الجنة**».

وقال عليه الصلاة والسلام: «**من علامات الساعة أن يكون الولد غيظًا، والمطر قيظًا، وتفيض الأشرار فيضًا**».

ومن المفاهيم السيكولوجية التي اشتمل عليها هذا الفصل العداوة Hostility (ص٢٥–٢٨)، والكراهية Hate (ص٢٥–٢٨)، والخوف Fear (ص٢٥–٢٨)، والنفور Intolerance (ص٢٥–٢٨).

الباب الخامس: في ذكر النجباء من الأولاد:

ويتلخص في ذكر بعض محاسن نجائب الأولاد، وأفضلهم خلقًا وعقلًا. فقد قال رسول الله ﷺ: "**من سعادة الرجل أن يشبه أباه**". وقال بعض الحكماء: الحياء في الصبي خير من الخوف، لأن الحياء يدل على العقل، والخوف يدل على الجبن. قال ابن عباس رضي الله عنه: عَرَامَة الصبي زيادة في عقله. وقالت ماوية بنت النعمان بن كعب لزوجها لؤي بن غالب: أي أولادك أحب إليك؟ قال: الذي لا يرد بسطة يده بخل، ولا يلوي لسانه عيٌّ، ولا يغير طبعه سفه؛ يعني كعب بن لؤي.

سئلت أعرابية عن ابنها فقالت: أنفع من غيث، وأشجع من ليث، يحمي العشيرة، ويبيح الذخيرة، ويحسن السريرة.

ومن المفاهيم السيكولوجية التي اشتملت عليها هذا الباب العقل Mind، أو الذكاء بالمعنى العلمي (ص٢٩–٣٩)، والخوف Fear (ص٢٩–٣٩)، والخجل Shame (ص٢٩–٣٩)، والأخلاق Moral (ص٢٩–٣٩)، والسعادة Happiness (ص٢٩–٣٩).

الباب السادس: في ذكر الحمقى منهم:

ويتلخص في ذكر بعض سمات الأبناء الحمقى، ومن ثم فمضمون هذا الفصل يقابل الفصل السابق، والذي عرضنا فيه لبعض ملامح الأبناء النجباء. قيل: إن الحمق يتولد غريزة ولا يتغير. وأما الرُّعونة فإنها تحدث من مخالطة النساء وتزول. ومعنى ذلك أنه من السهل علاج الأبدان، مقارنة بعلاج العقول. ومن أمثلة هؤلاء الحمقى أن رجلًا وجه ابنه ليشتري له حبلًا طوله عشرون ذراعًا، فعاد من بعض الطريق وقال يا أبي: في عرض كم!؟ فقال: في عرض مصيبتي بك.

ومن المفاهيم السيكولوجية التي اشتمل عليها هذا الباب في مجموعة مفهوم التخلف العقلي Mental Retardation (ص٤٠–٤٢).

الباب السابع: في محبة الآباء للأبناء:

ويتلخص في أنه يقدم نموذجًا لمقدار ما يكنه الآباء من مشاعر ومودة لأبنائهم، وشكل التعبير عن مشاعرهم الفياضة نحو أبنائهم وخوفهم عليهم من أن يصيبهم مكروه.

ومن الدلائل على ذلك أن الإمام علي -كرم الله وجهه- رأى الحسن يتسرع إلى الحرب، فقال: املكوا عني هذا الغلام لا يهدني، فإني أنفس بهذين (أي الحسن والحسين) على الموت، لئلا ينقطع بهما نسل رسول الله ﷺ.

ومن المفاهيم السيكولوجية التي اشتمل عليهما هذا الفصل الانفعالات Emotions (وخاصة الحب والخوف) (ص٤٣-٤٧).

الباب الثامن: فيما يجب لهم على الآباء:

ويتخلص في تحديد ما يجب على الآباء من أدوار ومسؤوليات نحو أبنائهم. ومنها أنه ينبغي للوالد ألَّا يسهو عن تأديب ولده، ويحسن عنده الحسن، ويقبح عنده القبيح، ويحثه على المكارم، وعلى تعلم العلم والأدب، ويضربه على ذلك. كما أنه يجب على الوالد أن يحسن اختيار أم ولده واسمه، وأن يتتبع مراحل تربيته ومعيشته ليتأكد من أنها تسير على ما يرام، فقد قال رسول الله ﷺ: «**من حق الولد على والده أن يحسن اسمه، ويحسن موضعه، ويحسن أدبه**».

ومن المفاهيم السيكولوجية التي اشتمل عليها هذا الباب التنشئة الاجتماعية Socialization (ص٤٨-٥٥)، والنموذج الاجتماعي Social Model (ص٤٨-٥٥)، أو القدوة Model (ص٤٨-٥٥)، والعقاب البدني Punishment Physical (ص٤٨-٥٥)، والتدعيم Reinforcement (ص٤٩-٥٥).

الباب التاسع: في توصية الآباء معلمي أولادهم بهم:

ويتلخص في تقديم بعض النصائح والوصايا للآباء عند تربية أبنائهم. وأول هذه الوصايا أن يبدأ الآباء بإصلاح نفوسهم، والتخلص من عيوبهم؛ لأن الأبناء يتعلمون من آبائهم، فإن كانوا حسني الخلق تأثر بهم أولادهم، وإذا كانوا سيئي الخلق تأثروا بهم كذلك. ويلي ذلك ضرورة أن يعلموا أبناءهم كتاب الله تعالى، والالتزام بتعاليم الدين، وأن يحببوهم فيه، وأن يعلموهم إتقان العلوم علمًا علمًا، وأن يطلبوا منهم تجنب محادثة النساء، وأن يرووا لهم سير الحكماء، وأن يعلموهم الصدق والشرف والأمانة،

وأن يجنبوهم الشغلة والحشم، وأن يهتموا بغذائهم حتى تصح عقولهم، وتشتد قلوبهم.

ومن المفاهيم السيكولوجية التي اشتمل عليها هذا الباب التنشئة الاجتماعية Socialization (ص٥٦–٦٠)، والنموذج الاجتماعي Social Model (ص٥٦–٦٠)، والقيم الأخلاقية (مثل الصدق والتدين والأمانة) (ص٥٦–٦٠)، وجماعة الأقران Pee Group (ص٥٦–٦٠)، والتفاعل الاجتماعي Social Interaction (ص٥٦–٦٠)، والقدرات العقلية Mental Abilities (ص٥٦–٦٠).

الباب العاشر: في ذكر كلام الصبيان:

ويتلخص في أنه يجب الاستماع إلى كلام الأطفال الصغار في ردهم على بعض المواقف التي يتعرضون لها. ففي كثير من الأحيان تكون هذه الردود منطقية وممتعة، وتعبر عن وعي واضح بالمواقف التي يتعرض لها هؤلاء الأطفال. ومن أمثلة هذه المواقف أن أعرابيًّا عاتب ابنه وذكره حقه، فقال: يا أَبَة! إن عظيم حقك عليَّ لا يبطل صغير حقي عليك.

ومن المفاهيم السيكولوجية التي اشتمل عليها هذا الباب سعة الأفق Broad–Mindedness (ص٦١–٧٨)، والخيال Imagination (ص٦١–٧٨).

الباب الحادي عشر: في ذكر الخوف عليهم والشفقة والرأفة:

ويتلخص في أن الآباء يخافون على أولادهم، ويشعرون بالرأفة والشفقة نحوهم، وخاصة إذا تعرضوا لبعض المخاطر والصعوبات والعقبات في حياتهم.

وهنا يقال: إذا ترعرع الولد تزعزع الوالد. ومن أمثلة ذلك أن عبد الملك بن مروان أخذ أحد لصوص العرب فأمر بقطع يده، فجاءت أمه، فقالت: يا أمير المؤمنين ولدي وكاسبي، قال: بئس الولد ولدك! وبئس الكاسب كاسبك!، هذا حد من حدود الله تعالى لا أعطله، قالت: اجعله من الذنوب التي تستغفر الله منها، فعفا عنه.

ومن المفاهيم السيكولوجية التي اشتمل عليها هذا الباب الانفعالات Emotions، (وخاصة الخوف والشفقة والرأفة) (ص٧٨–٨١).

الباب الثاني عشر: في إيثار بعضهم على بعض:

ويتلخص في أن بعض الآباء يميزون بين أبنائهم في المعاملة أثناء تربيتهم، فيفضلون واحدًا على الآخر، أو يحبون بعضهم دون البعض الآخر، أو يعطون لواحد منهم أموالًا

أو امتيـازات لم يحصل عليها باقي الأفــراد، وهذا ما نهى عنه رســول الله ﷺ حين قال: "**اعدلوا بين أولادكم**". فالمســاواة والعدل بين الأولاد من شأنـــها أن تزيد المحبة بينهم، ولا تجعل الأحقاد تنشأ.

ومن المفاهيم السيكولوجية التي اشتمل عليها هذا الباب التمييز Discrimination (ص٨٢-٨٤)، وقيمــة المســـاواة Equality Value (ص٨٢-٨٤)، وقيمة العدالـــة Justice Value (ص٨٢-٨٤).

الباب الثالث عشر: في ذكر من تمنى الحياة وكره الموت لأجل الولد:

ويتلخص في أن بعض الأشخاص ربما يتمنون أن تستمر حياتهم، ويكرهون مواجهة الموت من أجل حبهم الشديد لأبنائهم. والمثال حينما أتى ملك الموت لإبراهيم عليه السلام، فطلب منه أن يودع ابنه إسمـــاعيل، فوافق وتركه، فتعلق إسمـــاعيل بأبيه إبراهيم، وجعل يتقطع عليه من البكاء.

ومــن المفـــاهيم السيكـولـــوجية التي اشتمـل عليـــها هذا البـــاب مفهـــوم الانفعـــالات Emotions (وخـــاصة البكاء)، والحب (حب الأولاد)، والكـــراهية (كراهية الموت) (ص٨٥-٨٨).

أوجه الاستفادة من الكتاب في علم النفس:

يمكن الاستفادة من هذا الكتاب في مجال علم النفس وعلم النفس الاجتماعي.

***

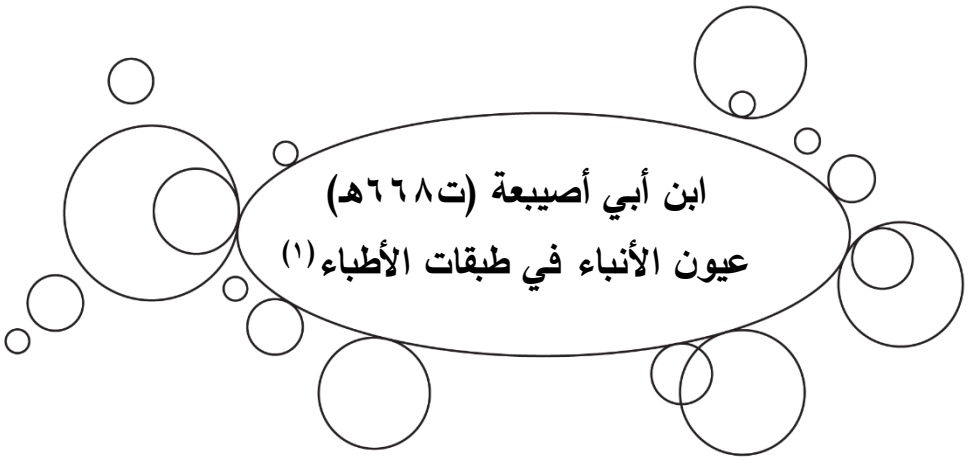

عرض: د. عبد المنعم شحاتة

التعريف بالمؤلف[٢]:

موفق الدين أبو العباس أحمد بن قاسم بن أبي أصبيعة السعدي الخزرجي، من أطباء العرب المعروفين، كان والده أمهر الكحالين (أطباء العيون) في دمشق. ولد موفق الدين في دمشق عام ٦٠٠هـ، وانتقل الي القاهرة في عهد الدولة الأيوبية، وخدم في المارستان الناصري، الذي أنشأه الناصر صلاح الدين، واشتهر بحسن مداواته، ثم انتقل إلى "صرخد" (في حوران) ومكث بها حتى توفي عام ٦٦٨هـ.

عرض الكتاب:

يبدأ الكتاب بتوضيح بداية الطب، أي الكيفية التي بدأ بها، ويعرض الآراء التي تتناول هذه النقطة والتي تنقسم إلى آراء تقول بقدمه، وأخرى تقول بحدوثه بعد خلق الإنسان، وذلك عن طريق الوحي والإلهام، أو الاتفاق والمصادفة، أو بملاحظة الحيوان.

أما أول من ظهرت فيهم صناعة الطب؛ فالبعض يرى أنهم قدماء اليونان، وآخرون يرون أنهم الكلدانيون، وفريق ثالث يرى أهل الهند، ورابع يرى أنهم أهل سيناء.

ثم يعرض الكتـــاب لترجمـــة لكبار الأطبـــاء (أكثر من ٤٠٠ طبيب) زمن الإغـريق

(١) تحقيق: نزار رضا، بيروت، دار مكتبة الحياة، [د.ت]. (٧٩١ ص).

(٢) المصدر: عيون الأنباء في طبقات الأطباء، (ص٥).

(أو اليونان) والرومان والهنود والعرب والعجم، وأطباء –كل قطر على حدة – العراق والجزيرة وديار بكر والهند وبلاد المغرب ومصر والشام. فيذكر لكل طبيب منهم، من تتلمذ لهم (شيوخه)، ومن علمهم (تلاميذه)، وأهم ما ألفه أو نقله إلى العربية من السريانية أو اليونانية... أو غيرها، ويذكر لبعضهم بعضًا من آرائه أو نوادره.

ولأن الكتاب هدفه الترجمة لحياه أطباء آخرين، فالإشارات النفسية فيه قليلة، إلا أنها موجودة، وسوف نشير إليها أولًا، ثم إلى قائمة من الكتب التي وردت في المتن، وتشير عناوينها إلى مضمونها النفسي، أي تتناول موضوعات تدخل في اهتمام علم النفس المعاصر.

في صفحة (١٢، ٦٣) ترد إشارة لاستخدام قدماء اليونان، وكذلك "فيثاغورس" الألحان والإيقاعات لعلاج آلام النفس. وكثير من أساليب العلاج النفسي الحديث تعتمد على الاسترخاء في معالجتها، فالمحلل النفسي يجعل مريضه يسترخي على أريكة مستعينًا بموسيقى هادئة وإضاءة خافتة، وتلاحقنا الأنباء عن أبحاث حول تأثير الموسيقى في الإنسان والحيوان والنبات.

في صفحة (١٥) نجد أن القدماء يشخصون بعض الحالات المريضة بأنها "كرب"؛ أي حزن بالنفس، "قلق". وهذه أعراض الاكتئاب Depression، وكانوا يعالجونه (انظر: ص٣٦) بوضع إكليل من شجر (الغار) على الرأس.

ويقدم (ص٣٦) تعريفًا لمرض "الصرع" بأنه علة تمنع الأعضاء النفسانية عن أفعالها منعًا غير تام بسبب سدة بعض بطون الدماغ، وفي مجاري الأعصاب المحركة من خلط غليظ أو لزج كثير، فتمتنع الروح عن السلوك فيها سلوكًا طبيعيًا، فتتشنج الأعضاء، ويعالجونه (ص٢٥) بنبات (الخريق).

ونقل (ص٤٦) من وصايا "أبقراط" للطبيب: "أن يكون مشاركًا للعليل، مشفقًا عليه"، وينقل (ص٤٢٠) عن أبي بكر محمد بن زكريا الرازي قوله: "ينبغي للطبيب أن يوهم المريض أبدًا الصحة، ويرجيه بها، وإن كان غير واثق من ذلك، فمزاج الجسم تابع لأخلاق النفس". يقترب هذا الأسلوب من طريقة "روجرز" Rogers التي سماها العلاج المتمركز حول العميل Client Centered Therapy التي تعتمد على تعاطف المعالج، وتقبله التام للمريض، ومشاركته آلامه وأحزانه، وبث الأمل فيه عن طريق الود والدفْء.

كما يشير قول الرازي إلى تأثير الحالة النفسية في الصحة، وهو تأثير –سواء كان إيجابيًا أو سلبيًا– يعترف به الأطباء على اختلاف تخصصاتهم، وكثير من الأمراض الجسمية تعد مظهرًا لمشاعر نفسية سلبية، وقد أورد ابن أبي أصيبعة الحسن بن زيرك مع ابن طولون (ص٥٤١، ٥٤٨) كدليل على ذلك، وقال تعقيبًا عليها: "واستولى الغم عليه، فخلط، وكان يهذي... حتى مات، وكان السبب في ذلك أن الأوهام والأحداث النفسانية تؤثر في البدن أثرًا قويًا...".

كما ذكر (ص٤٦) تعريفًا للوسواس: "حديث النفس والشيطان ما لا نفع ولا خير"، ومظهره (ص١٩٧) خلط في الذهن نتيجة غلبة السوداء. والوسواس القهري مرض نفسي شهير ينشأ عن خاطر يلح على الذهن إلحاحًا مبالغًا فيه.

كما يصف (ص١٨٨) حالة (شلل هستيري) لجارية الرشيد، وكيفية علاجه.

ويذكر (ص١٠٢)، (ص٤٦٠) آثار تعاطي الخمور على العقل، إذ يفسد الفهم.

ويقدم (ص٣٠٣) طريقة وصفها أبو سعيد سنان بن ثابت بن قرة لعلاج الغضب والغيظ.

وينقل (ص٤٢١) عن أبي بكر الرازي قوله: "باختلاف البلدان تختلف المزاجات والأخلاق والعادات وطباع الأدوية والأغذية...".

يورد ابن أبي أصيبعة حديثًا جيدًا عن كيفية المخاطبة، فينقل عن أفلاطون (ص٨٣) قوله: "إذا خاطبت من هو أعلم منك فجرد له المعاني... وإذا خاطبت من هو دونك فابسط كلامك"، أي يجب على المخاطب وضع خصال متلقيه في الاعتبار. وينقل عن موفق الدين عبد اللطيف البغدادي (ص٦٩٣) قوله: "إياك والغلظة في الخطابة، والجفاء في المناظرة". ويقدم في (ص٥٦٣) مقارنة علي بن رضوان (توفي ٤٤٧هـ) بين العلم والطب وعن طريق الكتب، وتعلمه على أيدي المعلم شفاهة، والفرق بينهما في درجة الفهم، وفي المشتتات الأخرى التي تشتت الانتباه أثناء التعلم.

وأخيرًا يذكر أن هنـــاك آثارًا فسيـولوجية (مثل: نبض القلب...) للعشق (الانفعـــال) (ص٥٩٥)، وهو ماتؤكده الأبحـــاث الحديثة، فالانفعال يؤدي إلى زيادة نبض القلب.

الإسهـــام الحقيقي لهذا الكتـاب، ليس في الإشـــارات النفسية المذكورة أنفًا، ولكن في

قائمة المؤلفات التي ذكرها لكل من يترجم له، وأغلبها يدخل في نطاق التخصصات الطبية المختلفة، إلا أننا سننتقي هنا ما تشير عناوينها إلى موضوعات يهتم بها علم النفس المعاصر:

"الجنون " لـ"أبقراط" مقالة في الصرع، مقالة في تربية الأطفال لـ"روفس"، معاقبة النفس لـ"سقراط"، مقالة في النفس لـ"أفلاطون"، في الحس والمحسوس لـ"أرسطو"، كتاب في قوى النفس تابعة لمزاج البدن لـ"جالينوس"، رسالة في الفرق بين الجنون العارض من مس الشياطين وبين ما يكون من فساد الأخلاط، رسالة في الحيلة لدفع الأحزان. (وقد سبق تناولها في كتاب رسالة فلسفية للكندي والفارابي وابن باجة وابن عدي، تحقيق: د. عبد الرحمن بدوي، ورسالة في اللثغة للأخرس.

والثلاث لـ"الكندي"، رسالة في علة النوم والرؤيا وما يرمز به النفس لـ"الكندي"، رسالة في النفس وأفعالها لـ"أبي يوحنا بن ماسويه"، كتاب في ماهية النوم واليقظة، كتاب في العقل، كتاب في الفأل، والثلاثة لـ"أحمد بن الطيب السرخسي"، كتاب في الرد على من قال: إن النفس مزاج، كتاب في سوء المزاج المختلف، الاثنان لـ"أبي الحسن ابن ثابت بن قرة" مقالة في النظر في أمر النفس "لأبي الحسن بن ثابت بن قرة"، مقالة في الأحلام وتفسير الصحيح منها من السقيم على مذهب الفلسفة لـ"أبي الفرج عبد الله بن الطيب"، كتاب في الفرق بين النفس والروح، كتاب في النوم والرؤيا لـ"قسطا بن لوقا البعلبكي"، كتاب في الصرع، كتاب في الماليخوليا، كتاب في النوم واليقظة، والثلاثة لـ"أبي جعفر أحمد بن محمد بن أبي الأشعث"، ولأبي بكر محمد بن زكريا الرازي كتاب "الطب الروحي"، (ويعرف أيضًا بطب النفوس، وغرضه فيها إصلاح أخلاق النفس)، وله كتاب "في اللذة"، وكتاب في الفرق بين الرؤيا المنذرة وبين سائر ضروب الرؤيا، وله مقالة في العادة، وكتاب في الأوهام والحركات النفسانية.

ولأبي علي بن سينا كتاب المبدأ والمعاد في النفس، فصول في النفس، تأويل الرؤيا، كتاب في القوى الإنسانية وإدراكها، وقول في تبيُّن: ما الحزن؟ وما أسبابه؟.

ولأبي علي أحمد بن عبد الرحمن بن مندويه الأصفهاني رسالة في وصف مسكر الشراب ومنافعه ومضاره، وأخرى في نعت النبيذ ووصف أفعاله ومنافعه ومضاره، وثالثة في النفس والروح على رأى اليونانيين.

للإمام فخر الدين أبي عبد الله محمد بن عمر بن الحسين الرازي رسالة في النفس، ولـ"كنكه" الهندي كتاب في التوهم، ولـ"صنجهال" الهندى كتاب التوهم في الأمراض والعلل، ولـ"إسحاق بن عمران" (عاش ببلاد المغرب) كتاب نزهة النفس، وكتاب في داء "الماليخوليا"، ولابن الجزار أبي جعفر بن إبراهيم بن أبي خالد (من أهل القيروان) كتاب في النوم واليقظة، ولابن باجة أبي بكر بن محمد بن يحيى بن الصائغ كتاب اتصال العقل بالإنسان، وكتاب النفس قول على القوى النزوعية، وكلام في الفحص على النفس النزوعية وكيف هي ولم تنزع؟ وبماذا تنزع؟، وكلام في المزاج بما هو طبي.

ولابن الوليد محمد بن محمد بن رشيد (ولد بقرطبة) شرح النفس لأرسطو، وتلخيص كتاب المزاج لجالينوس، ومقالة في المزاج.

ولأبي الحسن بن الهيثم مقالة في طبيعتي الألم واللذة، ومقالة في طبائع اللذات الثلاث الحسية والنطقية والمعادلة، ومقالة في اتفاق الحيوان الناطق على الصواب مع اختلافهم في المقاصد والأغراض، ورسالة في تلخيص جوهر النفس الكلية، ورسالة في تأثيرات اللحون الموسيقية في النفوس الحيوانية.

ولعلي بن رضوان (المتوفى عام ٤٤٧هـ، بالجيزة، بمصر، وولد بها) كتاب "النافع في كيفية تعليم صناعة الطب"، ومقالة في الفرق بين فاصل بين الناس والسديد والعطب".

ولأبي نصر الفارابي "رسالة" في التنبيه على أسباب السعادة"، و"كتاب تحصيل السعادة"، (وقد سبق عرضها في هذا المشروع)، و"كلام في الرؤيا"، وكلام فيما يصح أن يذم المؤدب، و"رسالة في ماهية النفس".

ولموفق الدين عبد اللطيف البغدادي "مقالة وجيزة في النفس"، و"مقالة في العادات" و"مقالة في المزاج"، و"مقالة في الحواس"، و"كتاب الحس والمحسوس"، و"كتاب النفس".

ولصدقة بن منجا السامري "كتاب النفس"

ولبدر الدين ابن قاضي بعبلك كتاب "مفرج النفوس"؛ استقصى فيه ذكر الأدوية والأشياء القلبية على اختلافها وتنوعها.

أوجه الاستفادة من الكتاب في علم النفس:

يمكن الاستفادة من هذا الكتاب في مجال علم النفس الإكلينيكي.

***

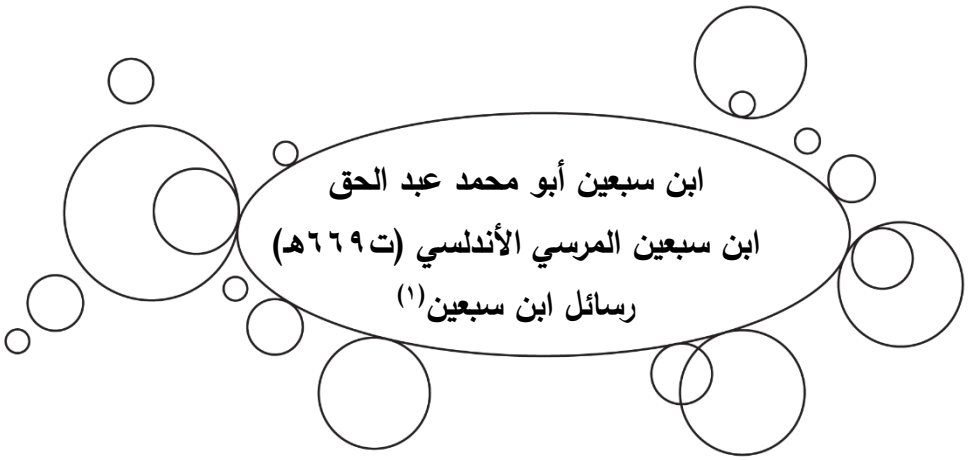

عرض: د. الحسين محمد عبد المنعم

التعريف بالمؤلف:

ولد ابن سبعين في مرسية بالأندلس سنة (٦١٣هـ)، من أسرة نبيلة وافرة الغنى، هي أسرة ابن سبعين التي تذكر بعض المصادر أنها تصعد في نسبها إلى النبي ﷺ. وقضى مطلع شبابه في الأندلس، حيث تعلم العربية والأدب، ونظر في العلوم العقلية، والتصوف. وقد قضى الفترة الخصيبة من حياته الروحية في المغرب، وفيها ألف معظم رسائله، وقد انتقل إليها وهو دون العشرين، فأقام أولًا في سبتة هو وجمع من أصحابه وأتباعه الذين قد بدؤوا يلتفون حوله، وهو لا يزال في الأندلس، وشاعت شهرته بالزهد والعلم، فأعجبت به سيدة غنية من أهل سبتة وطلبت إليه التزوج منها، فتزوجها، وأقامت له بيتها زاوية للعبادة.

وقد ارتحل ابن سبعين عن المغرب ولجأ إلى المشرق، ومر بمصر وأقام بها مدة قصيرة فيما يبدو، لأن هدفه الأول كان الحج، فقصد مكة، وهنالك لقي من شريفها عطفًا ورعاية، وشاع صيته بين أهل مكة بسبب سخائه. وظل بمكة حتى توفي في شوال سنة ٦٦٩هـ.

مؤلفاته: له مؤلفات كثيرة منها: بُدّ العارف – الرسالة الفقيرية – الإحاطة – الكلام على المسائل الصقلية.

(١) تحقيق: عبد الرحمن بدوي، القاهرة، المؤسسة العربية للتأليف والنشر، [د.ت]، (٣٧٤ ص).

عرض الكتاب:

يقع الكتاب في ٣٧٤ صفحة من القطع المتوسط بما فيها الفهرس ومقدمة المحقق الدكتور عبد الرحمن بدوي، ويضم حوالي عشرين أثرًا لابن سبعين ما بين رسالة ووصية.

ويتحدث في الرسالة الأولى – الرسالة الفقيرية:

عن الفقر وتعريفه، واشتقاق اللفظ اللغوي، ثم يعرض لنا آراء الفقهاء في الفقر، أي من حيث الأحكام الشرعية، ثم القول على الفقر من حيث المجرى الصناعي، والنظر في ماهيته مجردة بحذف امتحان الألفاظ الدالة ومطابقتها وتخليصها وتلخيصها وتحريرها بالجملة، ثم القول على الفقر من حيث الطريق، وهو آخر الأقسام أو المراد.

ويقول ابن سبعين: إن الفقر هو الصبر على المكروه، وشكر المنعم الحكيم، ثم يقدم لنا ابن سبعين خمسًا وعشرين حكمة عن الفقر، ومنها:

أن الفقر ترك الرغبة إلا في السعادة وأسبابها، والعبادة وأحكامها، وتدبير العادة وأحوالها، وأن الفقر هو الجامع المانع. وحكمة أخرى تقول: إن الفقر هو التجرد عن المواد والاتصال بالذوات المجردة المرسوم عليها في موضوعات الشرائع، والمعبر بها في اصطلاحهم بالملائكة وعالَم الأمر.

أما الرسالة الثانية فبعنوان: كتاب فيه حكم ومواعظ.

وفيها يقدم ابن سبعين مجموعة من الحكم والمواعظ منها:

– إلى الله أشكو أنسي وسروري، خذ نفسك ياصاحبنا بالتشبيه بالجليل، ولا تتصف بصفة معلل التعليل، وسبحان الله، وما شاء الله كان.

– خذ نفسك اليوم بتحسين أخبارها، واجتمع في ذاتك بالكلية، ويصلك فتح الله المشخص.

– الله فقط يا هُمام بماهية هو همُّك الأول.

– بحياتك لا تلتفت إلى الموتى، وبعيشك لا تتحدث إلا في عيش الآخرة، وبحق الحق لا تسأل عن أهل الباطل.

– الله فقط يا قرة العين في الغالب أو بالقوة، بالله عليك اعتدل واملأ صدرك من الله. ثم قسم ذلك النصيب الشريف على جملة قواك الروحانية والجسمانية.

والرسالة الثالثة بعنوان: (الرسالة القوسية):

ويلخصها ابن سبعين بقوله: "أصدق كلمة قالها القائل: "ألا كل شيء ما خلا الله باطل"، وعند تدقيق النظر في هذه الرسالة نجد وجهة نظر فلسفية لابن سبعين.

وتتحدث الرسالة الرابعة عن عهد ابن سبعين لتلاميذه:

وهي عبارة عن مجموعة مواعظ يوصيها ابن سبعين لتلاميذه، فيقول: اعلم أن مطالك مطال ومحالك محال، والواصل رحمه مهما دعا الله رحمه، والعلم للعلو، والسلم للعدو سلامة، والصلح مع جملتك صلاح، والدعاء بالإخلاص سلاح. وإياك من الأمل المهدوم، ومن العمل المعدوم، ومن الأمـــور التي تفسد حكمة العادة وأصـــول السعادة، ومن الود مع الملل. والسعيد هو المصلح لأعمـــاله، المطرح لله ماله. ولا تخالط إلا من قامت به الأوصاف المذكورة قُبل –إن استطعت– وإلا الأمثل فالأمثل.

وترتبط الحكمة القـــائلة: "إيـــاك من الأمل المهدوم" بمفهـوم "مستوى الطموح" Level of Aspiration. أمـــا "إياك من العمل المعدوم" فنجد إشـــارة إلى مفهـــوم "التدعيم" وضـــرورته عند أداء العمل. أما عندمـــا يقول: "لا تخـــالط إلا من قـــامت به الأوصاف المذكورة" فيشير إشارة واضحة إلى مفهوم الصداقة Friendship في علم النفس الاجتماعي (ص٤٣، ٤٤).

والرسالة الخامسة بعنوان الإحاطة:

حيث يشرح ابن سبعين في كتابه "الإحاطة" المعارج التي يرتفع فيها السالك حتى يصل إلى معاناة الوَحدة المطلقة. وبالجملة، ما يقول المحقق: يطرح المنطق العقلي المشائي، ويجعل من هذا الإهمال للمنطق المشائي مقدمة، ثم يجعل من التوحيد الذي لا يصح معه توحيد، بل يكفر به من لا يعلمه مقدمه أخرى، والحد الأوسط هنا خير الأمور، والأصغر الوقار، والأبر التفريد، والنتيجة هي الضبطة الروحية. وهذا النوع من القياس هو استخارة. والبرهان هنا معناه انتظار الفتح من الله.

ولا عليه أن يصيبه جنون في هذه اللحظـــات، لأنه في عالم أكمل شرطه الأساسي هو الجهل بالعلم الذي ليس إياه، وذلك هو طريق النفوس القوية المفطورة على التصوف. أما النفوس العادية فلها طريق آخر تبدأ بتصفح أحوال الملة، وأحوال وضعها. وهنـــاك إشارة واضحة إلى ظـــاهرة الفروق الفردية Individual Differences بين الناس

كأحد مفاهيم علم النفس الحديث (ص١٣٠–١٥٠).

الرسالة السادسة بعنوان: (النصيحة أو النورية):

وتضم هذه الرسالة ذكر المقامات والأحوال في مفهوم الذكر، وأحكامها في الذكر، وذكر الذكر ونوره وتصرفاته في مقامات التقوى، وذكر فضيلة الذكر في باب الورع، وفضيلة الذكر في مقام الزهد.

والرسالة السابعة بعنوان (رسالة):

وفيها يتحدث ابن سبعين عن الذات الإلهية وصفاتها، ويذكر منها الكمال والجلال، والنور المطبق والخالي من المادة. ونجد هنا سيطرة المنحى الفلسفي في عرض ابن سبعين للموقف.

والرسالة الثامنة بعنوان (رسالة في أنوار النبي):

وفي هذه الرسالة يتحدث عن أنواع أنوار النبي ﷺ، ويذكر للرسول الكريم ثلاثة وثلاثين نورًا؛ هي: نور العزة، والغاية الإنسانية، والإدراك، النبوة، النشأة، السابقة، التشريف، التدلل، التركيب، المولد، الخلقة، التربية، الانتقال، النهاية، التضمن، العادة، التسخير، الاتباع، اللواحق، الجاه، الخطابة، المقايسة، التفضيل، الإحاطة، الحصر، الكشف، التزكية، المكانة الكبرى، الانفراد، الذكر والعلاقة، العلانية، الخصوصية، الخير المحض، اللواء، العبودية. ويقترب هذا الحديث من موضوع خصائص أو سمات الشخصية Personality Traits (ص٢٠١–٢١٠).

والرسالة التاسعة بعنوان (خطاب الله بلسان نوره):

وهي عبارة عن رسالة من الله عز وجل وعلا إلى عباده، وفيها بعض من الحديث عن الذات الإلهية وصفاتها، وعطاياه لعباده، وما ينتظره منهم من حمد وشكر وثناء.

والعاشرة بعنوان "ملاحظات على بُدِّ العارف":

وهي رسالة يوجهها ابن سبعين لمريديه حتى يسلكوا الطريق القويم، ومنها التدبر في آيات الله، والحذر من العمل، ونسيان الشكر والعبادة، ويحضهم على الأمانة وفعل الخير، وغض البصر عن غير الله، والتحلي بالحكمة، وكتمان السر.

ويقدم ابن سبعين مجموعة من النصائح لتلاميذه في الرسالة الحادية عشرة والثانية عشرة:

ويبدؤها بالشكر على النعمة، والتحلي بمكارم الأخلاق، والكف عن المهلكات

بالجملة، وذلك بقطع شهوة البطن والفرج، ومتعلقات الحواس الخمس الجسمانية، والأربع الروحانية، وكذلك الدعاء لله والرحمة وغيرها. وهنا نلمح إشارة إلى أحد مفاهيم علم النفس الحديث وهو: ضبط النفس Self – Control (ص٢٦٣).

أما الرسالة الثالثة عشرة فعنوانها: الألواح المباركة:

وتدور حول معنى اللذة، فيقول ابن سبعين: تُقال مع الأنس يترادف وقد لا، وقد تُقال معه بتقديم أو تأخير وقد لا، وقد تقال معه بتشكيك وقد لا. والمستحسن والموافق والملذوذ، وكل ذلك من أجزاء ماهية اللذة، وهي تمتد على جملة مراتب لا في حدها، وتطلق على أنحاء من جهة الأقل والأكثر، والأقوى والأضعف، والأكمل والأنقص.

وتعتبر من جهة مضافها الرئيس والخسيس، فإن كان جليلًا قيل فيها: جليلة، وإن كان خسيسًا قيل فيها: خسيسة.. ويقول أيضًا فيها: تدور على الحب، ويدور عليها، وتجذبها الإدارة بوجه ما خفي وجلي، وقرارها في عين الرضا وهي قربها، وهي نقطة مكن أجلها هي دائرة المباحث والمطالب. ويرتبط هذا الحديث بمفهوم اللذة، وبأصل الدوافع باعتبارها المسؤولة عن المطالب والحاجات Motives (ص٢٨٠).

الرسالة الرابعة عشرة بعنوان (رسالة)، وكذلك الخامسة عشرة والسادسة عشرة:

والرسائل الثلاث تقدم عددًا من النصائح والتعليمات التي يذكرها ابن سبعين لتلاميذه مرة أخرى، وتتضمن هذه النصائح ما يجب عليهم أن يقرؤوه من كتب ومعارف، وفي أي الأوقات يجب ذلك. كما يوصيهم بالتقوى والطهارة، والاشتغال بكتاب الله وبسنة رسوله ﷺ وبالعلوم ولواحقها، وسماح النصح من ذوي السيرة الحسنة فقط، ومخالطة الزهاد والاعتدال في كل شيء، كما يحذرنا من مجالسة الغاضبين، وصاحب الوجهين، والمنافقين.

ويوصينا بأخلاق السفر، والتحلي بمكارم الأخلاق جميعها... وهذه الرسائل أشبه ببرنامج بضعه ابن سبعين لمريديه حتى يصلوا إلى طريق الحق. والمدقق في هذه الرسائل يجد أنه يتحدث عن خصائص الشخصية السوية وسماتها (ص٢٩٨–٣١١).

والرسالة السابعة عشرة أيضًا بعنوان (وصايا ابن سبعين):

وهي أيضًا وصايا من ابن سبعين لمريديه مثل: حافظوا على الصلوات، وجاهدوا النفس في اتباع الشهوات، واستعينوا على الخيرات بمكارم الأخلاق. ومن استقام في بدايته، وحصلها على وجهها، وظفر بشروطها في عمله وقوله وفعله وحاله، وفعل فيها ما ينبغي

على ما ينبغي، في الوقت الذي ينبغي. ومن طلب ظفر، ومن ظفر ربح، ومن ربح تأنس، ومن تأنس نشط. ونجد هنا إشارة أيضًا إلى مفهوم ضبط النفس Self-Control، والحد من الدوافع Motives (ص٣١٢-٣١٥).

والرسالة الثامنة عشرة بعنوان الرسالة الرضوانية:

ويتحدث في هذه الرسالة عن التوبة بكل أنواعها وأقسامها، فيقول: يتوب الكافر من كفره، والمؤمن من معصيته، والسالك السعيد من غفلته، وأن التوبة فريضة تلزم كل مسلم، والغافل عنها يتوب من أجلها، والتوبة ليست للذين يعملون السيئات حتى إذا حضر أحدهم الموت قال: إني تبت الآن، ولا الذين يموتون وهم كفار. والسعيد هو الذي يجعل التوبة ممتدة مع نَفْسه ونَفَسه، ويأخذ نَفْسه بمنادمتها، فإنها عجيبة محافظة لمقاماتها الشريفة، ومقومة لشأنه كله.

ويعود ابن سبعين مرة أخرى ليقدم نصائح وإرشادات لمريديه في الرسالة التاسعة عشرة:

ويؤكد على ضرورة معرفة النفس، والقرب من الله والناس، وعدم الغرور، والاعتراف بالشكر لله وفعل الحسنات على الدوام، والتوبة دائمًا لله، وعدم طاعة النفس ومخالفتها إذا كانت في اتباع الشهوات، والدعاء والتضرع دائمًا لله. يرتبط هذا الحديث أيضًا بمحاولة ضبط النفس Self-Control (ص٣٥٧-٣٦١).

أما الرسالة العشرون فبعنوان (رسالة في عرفة):

وفيها يتحدث ابن سبعين عن يوم عرفة، وكذلك عن مناسك الحج وما يجب على المسلم اتباعه مستعينًا في ذلك بالأحاديث النبوية، وما جاء من أحاديث حول الحج، ووقفة عرفة.

***

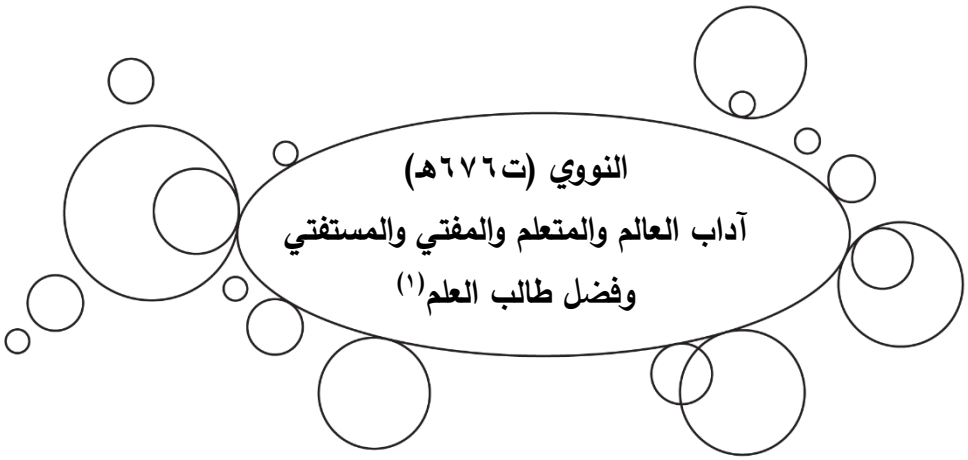

عرض: د. جمعة سيد يوسف

التعريف بالمؤلف:

هو الإمام الحافظ الفقيه المحدث، ناصر السنة، وقامع البدعة، محيي الدين أبو زكريا يحيى بن شرف بن مري بن حسن بن حسين بن محمد بن جمعة بن حزم، النووي الدمشقي.

ولد في نوى –قاعدة الجولان من أرض حوران من أعمال دمشق– في العشر الأواسط من شهر المحرم ٦٣١ هجرية. وقد رآه بعض أهل الفضل في بلده وهو صبي فتفرس فيه النجابة، واجتمع بأبيه شرف ووصاه به، وحضه على حفظ القرآن والعلم. وحفظ القرآن وقد ناهز الاحتلام، ولما بلغ تسع عشرة سنة قدم به والده إلى دمشق لطلب العلم، فسكن المدرسة الرواحية (سنة ٦٤٩ هجرية) وحفظ "التنبيه"، وقرأ "المهذب" للشيرازي، وفي سنة ٦٥١ هجرية حج مع أبيه، ثم ارتحل وأقام بالمدينة المنورة، ومرض في طريقه وأصابته حمى من حين توجه من بلده نوى مع والده ولم تفارقه إلى يوم عرفة، وبعد إتمام الحج عاد إلى نوى، ثم رجع إلى دمشق وصـــار في وقت قصير حافظًا للحديث وفنونه، عالمًا بالفقه وأصوله، وأصبح رأسًا في معرفة مذهب الإمــام "الشـــافعي". وتولى مشيخة دار الحديث الأشرفية والتدريس بها دون أن يأخذ من معلومها شيئًا حتى توفاه الله في ليلة الأربعاء لست بقين من شهر رجب

(١) طنطا: مكتبة الصحابة، (١٩٨٧م)، (٨٦ ص).

سنة ٦٧٦ هجرية، ودفن ببلده، وقبره مشهور بها.

ومن شيوخه: الرضي بن البرهان، وعبد العزيز بن محمد الأنصاري، وزين الدين ابن عبد الدائم، وأبو إسحـــاق إبراهيم بن عيسى المـــراوي الأندلسي، وغيرهم كثيرون. ومن تلامذته الخطيب صدر الدين سليمـــان الجعفـــري، وشهـــاب الدين الأربدي، وشهاب الدين بن جعوان.

ومن تصانيفه شرح صحيح مسلم، والمجموع، ورياض الصالحين، والأذكار، والأربعون النووية، والإرشاد، والتقريب في علوم الحديث، وتهذيب الأسماء واللغات، وبستان العارفين، وخلاصة الأحكام في مهمات السنن وقواعد الإسلام، وروضة الطالبين وعمدة المفتين، وشرح المهذب.

(استمدت هذه الترجمة من كتاب الأذكار النووية للإمام النواوي، بتحقيق عبد القادر الأرناؤوط).

عرض الكتاب:

يمثل هذا الكتيب مقدمة كتاب المجموع، وقد فصلت وطبعت منفردة. ويقع في ٨٦ صفحة من القطع المتوسط، ويشتمل على مقدمة الناشر، ثم موضوعات الكتاب، وهو مقسم إلى فصول، وأحيانًا إلى أبواب تضم فصولًا متفاوتة الحجم، وعدد الأبواب خمسة، وأخيرًا فهرس الكتاب.

يبدأ الإمام النووي هذا الكتاب بفصل عن الإخلاص والصدق، وإحضار النية في جميع الأعمال البارزة والخفية، وذلك باستعراض عدد من الآيات القرآنية الكريمة: ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾ [البينة:٥]، والأحاديث النبوية الشريفة: «**إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرئ ما نوى...**»، ومن كلام العارفين، وهي كثيرة ومتعددة.

ويخلص من ذلك إلى معناه، وهو أن الصادق يدور مع الحق حيث دار، فإذا كان الفضل الشرعي في الصلاة –مثلًا– صلى، وإذا كان في مجالسة العلماء والصالحين والضيفان والعيال، وقضاء حاجة مسلم، وجبر ذلك؛ فعل ذلك الأفضل وترك عادته.

وكذلك الصوم والقراءة والذكر والأكل والشرب والجد والمزح والاختلاط والاعتزال والتنـــعم والابتذال ونحوها، فحيث رأى الفضيلة الشرعية في شيء من هذا فعله، ولا يرتبط بعـــادة ولا بعبـــادة مخصوصة كما يفعله المـرائي. (والحديث ينتمي هنا بشكل غير مباشر

لأحد موضوعات علم النفس الاجتماعي، ألا وهو القيم Values) (ص٦–١٠).

ويبدأ بعد ذلك بابًا جديدًا بعنوان: "فضيلة الاشتغال بالعلم وتصنيفه، وتعلمه وتعليمه، والحث عليه والإرشاد إلى طرقه". ويرى أن الآيات تكاثرت والأخبار والآثار تواترت، وتطابقت الدلائل الصريحة وتوافقت على فضيلة العلم والحث على تحصيله والاجتهاد في اقتباسه وتعليمه. ويسرد عددًا غير قليل من الآيات والأحاديث، والأقوال المأثورة عن العلماء والصالحين، كلها تحبذ العلم وتوقر العلماء والتفكر فيه وتحصي فوائده. (ولعل الحديث عن العلم وضرورة التعلم يقودنا إلى البحث عن أفضل طرق التعلم. وموضوع التعلم عمومًا من الموضوعات التي تلقى عناية من علماء النفس) (ص١١–١٥). ويتبع هذا الباب بعدة فصول تؤكد المعاني السابقة وتوضحها، وأحدها في ترجيح الاشغال بالعلم على الصلاة والصيام وغيرهما من العبادات القاصرة على فاعلها (ص١٥–١٨)، والثاني فيما أنشدوه في فضل طلب العلم، وقدمه شعرًا (ص١٨، ١٩)، والثالث في ذم من أراد بعلمه (أو فعله) غير الله تعالى (ص١٩–٢١). والرابع في النهي الأكيد والوعيد الشديد لمن يؤذي أو ينقص الفقهاء والمتفقهين، والحث على إكرامهم وتعظيم حرماتهم (ص٢١–٢٢)، وهي كلها وصايا ترفع من شأن العلم والعلماء.

وفي الباب الثاني من هذا الكتاب يقوم بتقسيم العلم الشرعي إلى أقسام، ويرى أنها ثلاثة:

أولها: فرض عين:

وهو تعلم المكلف ما لا يتأدى الواجب الذي تعين عليه فعله إلا به، ومن الأسانيد من هذا حديث الرسول ﷺ: «**طلب العلم فريضة على كل مسلم**»، ومن أمثلته تعلم الوضوء، والصلاة، والحرام والحلال من المأكل والمشرب والملبس.

أما القسم الثاني فهو فرض الكفاية:

وهو تحصيل ما لابد للناس منه في إقامة دينهم من العلوم الشرعية كحفظ القرآن، والأحاديث وعلومها، والأصول والفقه والنحو واللغة والتصريف، ومعرفة رواة الحديث، والإجماع والخلاف، وأما ما ليس علمًا شرعيًا ويحتاج إليه في قوام أمر الدنيا كالطب والحساب ففرض كفاية أيضًا (ص٢٦، ٢٧).

والقسم الثالث هو النفل:

ومنه التبحر في أصول الأدلة، والإمعان فيما وراء القدر الذي يحصل به فرض كفاية، وكتعلم العامي نوافل العبادات بغرض العمل (ص٢٨). وبعد أن ينتهي من ذكر أقسام العلم الشرعي، يتحدث عن العلوم الخارجة عنه، ومنها ما هو محرم أو مكروه أو مباح، فالمحرم كتعلم السحر والفلسفة والشعوذة والتنجيم وعلوم الطبائعيين.

والمكروه كأشعار المولدين التي فيها الغزل والبطالة، والمباح كأشعار المولدين التي ليس فيها سخف ولا شيء مما يكره، ولا ما ينشط إلى الشر، ولا ما يثبط عن الخير، ولا ما يحث على خير أو يستعان به عليه (ص٢٨). ويختتم هذا الباب بفصل في تعليم الطالبين وإفتاء المستفتين، ويرى أنه فرض كفاية (ص٢٨).

ونأتي لأحد أهم أبواب هذا الكتاب وهو آداب المعلم، ويبدؤها بأدبه في نفسه، وتعدد الأمور التي تكشف عن ذلك. فيرى أنه ينبغي أن يقصد بتعليمه وجه الله تعالى لا لغرض دنيوي، ولا يشينه بشيء من الطمع، وأن يتخلق بالمحاسن التي أمر بها الشرع وحث عليها كالتزهد في الدنيا، وعدم المبالاة بغواتها، والسخاء ومكارم الأخلاق، والحلم والصبر، والتواضع والخضوع وغيرها. (وبعضها يمكن أن يدرس تحت سمات الشخصية) (ص٢٩، ٣٠)، ومنها الحذر من الحسد والرياء والإعجاب واحتقار الناس، وهي خصال مذمومة يعتبرها المؤلف أمراضًا يبتلى بها الناس، وهو يصف كيفية التخلص منها. وهو يعالج الحسد بأن يعلم الإنسان الحاسد أن كلمة الله تعالى اقتضت جعل هذا الفضل في هذا الإنسان، فلا ينبغي أن يعترض.

وهو يعالج الرياء بأن يعلم الإنسان أن الخلق لا ينفعونه ولا يضرونه، فلا ينشغل بمراعاتهم.

ويعالج الإعجاب بأن يعلم الإنسان أن العلم فضل من الله، فلا يجب أن يعجب بشيء لم يخترعه وليس مالكًا له...، وهنا يقترب المؤلف من أحد أساليب العلاج النفسي الحديث وهو أسلوب العلاج السلوكي (ص٣).

ومن الأساليب التي يستخدمها أيضًا استعماله أحاديث التسبيح والتهليل وسائر الآداب الشرعية، ومنه دوام مراقبته لله تعالى في علانيته وسره، وأداب العبادات، ومنها ألا يزل العالم، ومنها أنه إذا فعل صحيحًا جائزًا في نفس الأمر ولكن ظاهره أنه حرام أو مكروه أو مخل المروءة؛ فينبغي أن يخبر أصحابه ومن يراه يفعل ذلك بحقيقة

الفعل لينتفعوا، ولئلا يأثموا بظنهم الباطل (ص٣١).

ومن آدابه أيضًا أدبه في درسه واشتغاله، فينبغي أن لايزال مجتهدًا في الاشتغال بالعلم قراءة وإقراء، ومطالعة وتعليقًا، ومباحثة ومذاكرة وتصنيفًا. (وكأنه هنا يحدد بدقة مهام الباحث العالم). ولا يستنكف من التعلم ممن هو دونه في سن أو نسب أو شهرة أو دين أو في علم آخر. (وهنا يرسي جسور التعاون بين الباحثين على اختلاف تخصصاتهم، والتي بدأت تثمر فروعًا من فروع المعرفة لم تكن من قبل مثل سيكولوجية اللغة التي نتجت عن الاتصال بين علماء النفس وعلماء اللغة). ولا يستحيي من السؤال عما لم يعلم. كما يؤكد أيضًا عدم الخلط بين التخصصات، وأن يحترم كل صاحب تخصصٍ التخصصات الأخرى، فإذا أراد معرفة شيء عنها فليكن من أصحابها، كما يأمر بضرورة المراجعة والتدقيق فيما خرجه الباحثون، ويوصي بالعناية بالعبارة وإيجازها.

ومن آدابه كذلك آداب تعلمه، فالتعلم هو الأصل الذي به قوام الدين، وبه يؤمَن إمحـــاق العلم، فهو من أهم أمور الدين، وأعظم العبـــادات، ومن واجباب المعلم في هذا الجانب ألا يمتنع من تعليم أحد لكونه غير صحيح النية، وأن يؤدب المتعلم على التدريج بالآداب السنية، والشيم المرضية. (وهو هنا يرسي مبدأً هامًا من مبادئ التعلم، وهو التدرج، وهو من المبـــادئ المعروفة في دروس التعلم) (ص٣٤)، وينبغي أن يرغبه في العـــلم، ويذكره بفضـــائله وفضـــائل العلماء؛ (أي إيجاد باعث أو حـــافز لتحقيق أعلى درجة من التعليم، وهو هنا يشير –بشكل غير مباشر– للدافعية Motivation أحد موضوعات علم النفس العام) (ص٣٤).

وينبغي أن يحنو عليه ويعتني بمصالحه، وأن يحب له ما يحب لنفسه من الخير، ويكره له ما يكره لنفسه من الشر. وينبغي أن يكون سمحًا يبذل ما حصله من العلم، مع رفق ونصيحة وإرشاد الي المهمات وتحريض على الحفظ. (والإرشاد التربوي أحد الموضوعات التي يعنى بها علماء النفس، وكذلك التحريض على الحفظ، فهو يقابل الدافعية التي سبقت الإشارة إليها) (ص٣٥).

وينبغي عليه كذلك ألا يدخر عن المتعلمين شيئًا من، أنواع العلم، وألا يلقي –في الوقت نفسه– إليهم بشيء لم يتأهلوا له. (وهو هنا يلفت النظر إلى ضرورة مراعاة العلاقة بين موضوعات التعلم، وما وصل إليه المتعلم من نضج وارتقاء معرفي Cognitive Development) (ص٣٥)، وينبـــغي ألا يتعـــظم عـــلى المتعلمين، بل يلين لهـــم، وأن يكـــون حـــريصًا على

تعليمهم، وأن يتفقدهم ويسأل عمَّن غاب منهم، وأن يبذل وسعه في تفهيمهم وتقريب الفائدة إلى أذهانهم، ويفهم كل واحد بحسب فهمه وحفظه. (ولعل هذه النقطة –أعني تقسيم المتعلمين بناء على قدرتهم على الفهم أو بالأحرى الذكاء– هي التي كانت السبب في ظهور أول مقياس للذكاء علي يد بينيه Binnet. كما يشير إلى ضرورة حسن التخاطب، وقد سبقت الإشارة إليه، ويقدم بعض مبادئ التعلم والتذكر) (ص٣٦–٤١). وينبغي للمعلم أن يطرح على أصحابه ما يراه من مستفاد المسائل، ويختبر بذلك أفهامهم، ويظهر فضل العاقل ويثني عليه بذلك، ترغيبًا له وللباقين في الاشتغال والفكر في العلم، وليتدربوا بذلك ويعتادوه. ولا يعنف من غلط منهم في كل ذلك، إلا أن يرى تعنيفه مصلحة له. ولعل مسألة إعادة المادة المتعلمة بعد الحفظ تعد من مبادى تحسين التذكر (ص٤٣).

وبعد أن انتهى الإمام النووي من هذه الآداب العظيمة والشاملة انتقل إلى المتعلم Learner ليوضح لنا دوره وما ينبغي عليه أن يفعله ويتصف به. ويرى أن آدابه في نفسه ودرسه كآداب المعلم التي سبق الحديث عنها، ثم يضيف إليها عددًا آخر من الآداب، ومنها أن يطهر قلبه من الأدناس ليصلح لقبول العلم وحفظه واستثماره، وأن يقطع العلائق الشاغلة عن كمال الاجتهاد في التحصيل، وأن يتواضع للعلم والمعلم، وألا يأخذ العلم إلا ممن كملت أهليته، وظهرت ديانته، وأن ينظر لمعلمه بعين الاحترام، وأن يتحرى رضا المعلم وإن خالف رأي نفسه ولا يغتاب عنده، ولا يفشي له سرًا، وألا يدخل عليه بغير إذن، وأن يدخل كامل الهيبة، فارغ القلب من الشواغل، ويسلم على الحاضرين ولا يتخطى رقابهم، ولا يقيم أحدًا من مجلسه (ص٤٥–٤٧). وينبغي عليه أن يتلطف في سؤاله، ويحسن خطابه، ولا يستحيي من السؤال عما أشكل عليه. (وحسن التخاطب أحد موضوعات علم النفس الاجتماعي، وقد سبقت الإشارة لذلك) (ص٤٨)، وينبغي أن يكون حريصًا على التعلم مواظبًا عليه في جميع أوقاته، مع الاستراحة القصيرة لإزالة الملل. (ولعل الإمام النووي بذلك سبق كثيرًا من منظري العلم مثل كلارك هل Hull وحديثه عن الكف Inhibition، وكيفية تبديده، والمعادلات التي صاغها في ذلك) (ص٤٩). ومن آدابه أيضًا الحلم والأناة، وعلو الهمة، (وهي من سمات الشخصية، ومن محددات الأداء بصفة عامة) (ص٥٠).

وينبغي أن يغتنم التحصيل في وقت الفراغ والنشاط وحال الشباب وقوة البدن، ونبـــاهة الخاطر وقلة الشواغل، ويعتني بتصحيح درسه الذي حفظه تصحيحًا متقنًا، ويداوم عـــلى تكـــرار محفوظـــاته، ولا يحفظ ابتداء من الكتب استقـــلالًا، بل يصحح على

الشيخ، وليذاكر بمحفوظاته، وليدم الفكر فيها، ويعتني بما يصل فيها من الفوائد، وينبغي أن يبدأ دروسه على المشايخ، وفي الحفظ والتكرار والمطالعة بالأهم فالمهم، (من إستراتيحيات التعلم) (ص٥١)، وينبغي أن يرشد رفقته وغيرهم من الطلبة إلى مواطن الاشتغال والفائدة، ويذكر لهم ما استفاده على جهة النصيحة والمذاكرة، ولا يحسد أحدًا، ولا يحتقره، ولا يعجب بفهمه... فإذا فعل هذا وغيره مما سبقت الإشارة إليه، وتكاملت أهليته، واشتهرت فضيلته؛ اشتغل بالتصنيف، وجد في الجمع والتأليف، محققًا كل ما يذكره، متثبتًا في نقله واستنباطه، متحريًا إيضاح العبارات، وبيان المشكلات، مجتنبًا العبارات والأدلة الواهية، مستوعبًا معظم أحكام ذلك الفن غير مخل بشيء من أصوله، منبهًا على القواعد، فبذلك تظهر له الحقائق، وتنكشف المشكلات، ويطلع على الغوامض وجل المعضلات، ويعرف مذاهب العلماء، والراجح من المرجوح، ويرتفع على الجمود وعلى محض التقليد. (وفي الفقرة الأخيرة يقدم عددًا من أهم أسس مناهج البحث العلمي التي ينبغي أن يأخذها الباحث في اعتباره، ليس في علم النفس فحسب، وإنما في مختلف العلوم) (ص٥٢، ٥٣).

والباب الأخير في هذا الكتاب في آداب الفتوى والمفتي والمستفتي، وفيه يبين قيمة الإفتاء وعظم شأنه، وشروط من يصلح للفتوى، وأقسام المفتين، وأحكام المفتين، وآداب الفتوى، وآداب المستفتي وصفته وأحكامه. (وإذا كان هذا الجزء مخصوصًا للفتوى في أمور الدين، فإنه بالقياس عليه نجد أنه يمكن أن يقابل اهتمام بعض علماء النفس بموضوع الإرشاد Counseling، والعلاقة التي تحكم التفاصيل بين المرشد وطالب الخدمة، ومؤهلات المرشد، ومتى يقدم الإرشاد، وكيفية تقديمه، ومتى تنتهي العلاقة الإرشادية، وغير ذلك) (ص٥٥-٨٤).

أوجه الاستفادة من الكتاب علم النفس:

يمكن الاستفادة من الكتاب في مجال علم النفس التربوي.

***

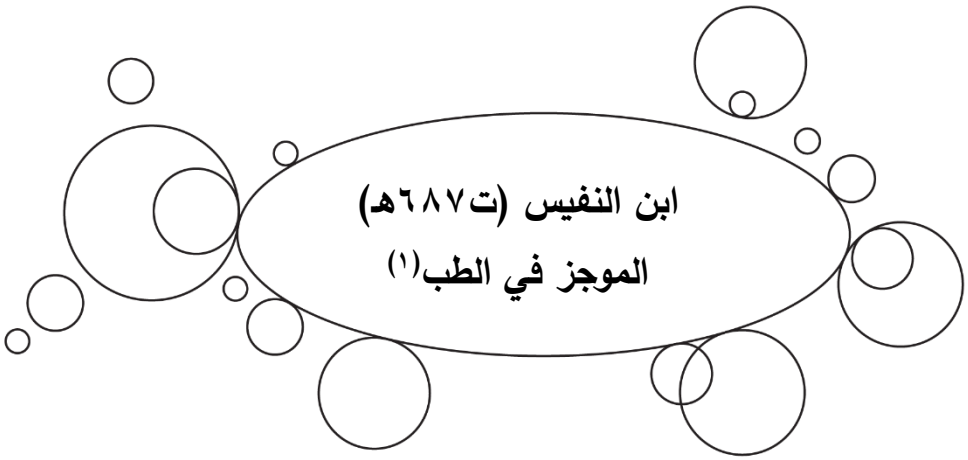

عرض: د. جمعة سيد يوسف

التعريف بالمؤلف:

هو العلامة علاء الدين علي بن أبي الحزم بن النفيس القرشي، شيخ الطب بالديار المصرية.

وأحد من انتهت إليه معرفة الطب مع الذكاء المفرط والذهن الحاذق، ولد في دمشق حوالي عام (٦٠٧هـ)، وتوفي في ١١ من ذي القعدة عام (٦٨٧هـ).

خلف ابن النفيس ثروة واسعة، ووقف داره وأملاكه وكتبه على البيمارستان المنصوري.

صنف كتاب الشامل، وشرح القانون لابن سينا في عدة مجلدات، وصنف أيضًا مختصرًا في الطب يسمى الموجز، وكتاب "المهذب في الكحل". وشرح كتب أبقراط كلها، ولأكثرها شرحان مطول ومختصر، وشرح الإشارات. وله أيضًا كتب أخرى تنسب إليه مثل كتاب المختار من الأغذية، وشرح تقديمات المعرفة، وتعليق على كتاب الأوبئة لأبقراط، وشرح مسائل حنين بن إسحاق، وشرح مفردات القانون، وتفاسير العلل وأسباب المرض، وكتاب شرح تشريح القانون، والرسالة الكاملية في السيرة النبوية، ومختصر في علم أصول الحديث.

---

(١) تحقيق: عبد الكريم الغرباوي، مراجعة: أحمد عمار، القاهرة، وزارة الأوقاف، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، (١٩٨٦م)، (٣٤٩ ص).

وعلى كل حال فإن ابن النفيس كان إمامًا عظيمًا، وعالمًا جليلًا، وكان يقال: هو ابن سينا الثاني[١].

عرض الكتاب:

يقع الكتاب في ٣٤٩ صفحة من القطع الكبير. ويشتمل على تقديم لجنة إحياء التراث، ومقدمة التحقيق، وترجمة ابن النفيس، وكتاب الموجز مرتبًا بفنونه. والفن الأول في قـــواعد جزأي الطب، العلمي والعملي. والفن الثـــاني في الأدوية والأغذية المفردة والمركبة، والفن الثـــالث في الأمراض المختصة بعضو وأسبابها وعلاماتها ومعالجتها. والفن الرابع في الأمراض التي لا تختص بعضو دون عضو آخر وأسبابها وعلاماتها ومعالجتها. وتقسيم كل فن ما بين جمل وأبواب. كما توجد في نهاية الكتاب قائمة بالكتب التي تم الرجوع إليها في تحقيق الكتاب، وفهرس بالمواد والنباتات مرتبة أبجديًا، وأخيرًا فهرس بموضوعات الكتاب.

ونظرًا لأن هذا الكتاب، كتاب طبي جملة وتفصيلًا، ونظرًا لكثرة التفاصيل التي به، وكذلك للارتباط الوثيق بين بعض فروع علم النفس، والطب، فإننا سننتقي من بين أبواب الكتاب ما كان متصلًا بعلم النفس ودراساته وتقديمه. (وهو الأمر الذي سلكناه في عرضنا لكتاب القانون في الطب لابن سينا من قبل).

ففي الجزء الأول من الفن الأول عن الأمور الطبيعية، وفيه يتحدث عن القوى، ومنها القوى النفسانية، وهي محركة، ومدركة. والمحركة منها باعثة على الحركة، وهي الشوقية، وتخدمها الشهوانية والغضبية، ومنها فاعلة للحركة بأن تشنِّج العضو فينجذب الوتر فينقبض العضو، أو ترخي العضل فيمتد الوتر فينبسط العضو. وأما المدركة، فهي إما مدركة في الظاهر، أو مدركة في الباطن، أما المدركة في الظاهر فهي خمس: البصر ومن شأنها إدراك الألوان والأضواء والأشكال، وموضعها التقاطع الصليبي بين العصبتين الآتيتين إلى العينين.

وقوة السمع ومن شأنها إدراك الأصوات، وقوة الشم وموضعها العصبتان الزائدتان الشبيهتان بحلمتي الثدي، ومن شأنها إدراك الرائحة، وقوة الذوق ومن شأنها إدراك الطعم، وموضعها العصب الذي في اللسان، وقوة اللمس وموضعها الجلد وأكثر اللحم ومن شأنها إدراك الملموسات.

---

(١) استمدت هذه الترجمة مما ورد في مقدمة الكتاب الحالي.

وأما المدركة في الباطن فمنها مدركة للصور المحسوسة بإدراك الظاهرة، وهي الحس المشترك وموضعه مقدم البطن المقدم من الدماغ، وخزانة الخيال، وموضعه مؤخر البطن المقدم. ومنها مدركة للمعـــاني القائمة بتلك الصور، ومنـــها متصرفة وتسمى باعتبار استخدام النفس الناطقة لها مفكرة، وباعتبار استخدام الوهم لها في الصور والمعاني الجزئية متخيلة.

وفي هذا الجزء نجد عددًا من الموضوعات التي تنتمي بشكل أو بآخر لعلم النفس، مثل الحديث عن الإحساس، والحواس الخمس، والإدراك الحسي. والدافعية Motivation، والسلوك الحركي Psychomotor Behaviour، وتحديد مواضع الوظائف الحسية والمعرفية في المخ، والتي تعني الدارسين في علم النفس العصبي والفسيولوجي (ص٣٦).

ومن القوى أيضًا القوة الحيوانية، وهي القوة التي تُعد الأعضاء لقبول القوى النفسانية.

ثم تأتي بعد ذلك الأفعال فمنها مفردة، ومنها مركبة، (أو بمعنى آخر أشكال السلوك المختلفة). (ونود أن نلفت النظر هنا إلى أن هذا الحديث نجده في عديد من المؤلفات التي عرضناها من قبل مثل كتابي: النفس، والقانون في الطب لابن سينا، ومعارج القدس في مدارج معرفة النفس للغزالي، ورسالة في العقل للفارابي).

وفي الجزء الرابع من هذا الفن الذي يتحدث فيه عن علامات الأمراض، يشير إلى الانفعالات النفسانية من حيث كيفية الانفعال، باعتبارها من علامات الأمزجة. (والانفعالات –كما سبق أن ذكرنا في مواضع كثيرة– من الموضوعات الهامة في دراسات علم النفس العام) (ص٤٨). ويذكر أيضًا في علامات أمراض التركيب، والحركة، من حيث كيفية قرع الحركة (قوي أو ضعيف أو متوسط)، وزمان الحركة (سريع أو بطيء أو متوسط). والمعروف أن السلوك الحركي أو السلوك النفسي الحركيPsychomotor Behaviour حال سوائه واضطرابه من الموضوعات التي تلقى عناية علماء النفس، (ص٥٠).

وقد أفرد ابن النفيس الفن الثاني للأدوية والأغذية المفردة والمركبة. ونحن نرى أن الحديث في الأدوية والعقاقير يتصل بعلم النفس، وخاصة علم النفس الإكلينيكي من زاويتين: الأولى: يهتم فيها علماء النفس الإكلينيكيون بالأدوية والعقاقير التي يتعاطاها المرضى النفسيون في محاولة لتقويم آثارها على الوظائف النفسية المختلفة، وما تؤدي إليه من تحسن، أو من تشوش في بعض هذه الوظائف. لذلك يضعونها في حسابهم عند قياس هـذه الوظـائف لـدى المرضى النـفسيين بغرض الفحص والتشخيص. والزاوية الثـانية

هي التعاطي غير الطبي Non-Medical Use لبعض العقاقير والأدوية النفسية المؤثرة في الأعصاب أو المواد المخدرة، وما تحدثه هذه المواد من آثار ضارة في الوظائف النفسية. (وقد ذكر ابن النفيس الخشخاش كدواء مخدر منوم (ص١١٨). ويعتبر الخشخاش هو المصدر الذي يستخرج منه مادة الأفيون ومشتقاتها كالمورفين الذي يستخدم كمسكن للآلام بعد العمليات الجراحية، والهيروين تلك المادة القاتلة).

أما في الفن الثالث فيتحدث عن الأمراض الخاصة بعضو، وأسبابها، وعلاماتها، ومعالجتها، ويبدأ هذه الأمراض بالصداع (ص١٢٩-١٣٦). ومن المعروف أن الصداع في بعض الأحيان يكون عرضًا لمرض نفسي، أو عرضًا لبعض الإصابات العضوية في المخ كالأورام Tumors، وهو في هذه الحالة يحد اهتمامًا من علماء النفس الإكلينيكيين، والمتهمين بعلم النفس العصبي Neuropschology، ويذكر من الأمراض أيضًا النسيان، ويعرفه بنقصان أو بطلان لقوة الذكر، ويقسمه إلى نوعين: ما يحفظ القديم فقط، وما يحفظ الوقتي (أو القريب) (ص١٣٩). والتذكر والنسيان من الموضوعات التي حظيت بعناية علماء النفس منذ أواخر القرن الماضي سواء في علم النفس العام، أو في علم النفس التجريبي، أو في علم النفس الإكلينيكي للتعرف على مظاهر اضطراب الذاكرة عند فئات مختلفة من المرضى النفسيين، وقد قسم علماء النفس المحدثون الذاكرة إلى ثلاثة مستويات المباشرة Immediate، وقريبة المدى Short-Term، وطويلة المدى Long-Term، ووضعوا لكل مستوى عددًا من الاختيارات السمعية والبصرية واللمسية.

ومن الأمـــراض التي تعرض لها ابن النفيس "المانيا"، ويعرفه بأنه جنون سَبُعيّ عـــن سوداء محتـــرفة عن دم أو صفـــراء أو سوداء، يكون مع اضطـــراب وتوثب، ويكـــون السكـــوت والخـــوف والجفـــاف في السوداء والصفراوية أقل، ويمكن إسكاته، أو فـــي السوداوية يتغـــافل إذا كُلم، فإذا ثار لم يمكن إسكاته ولا الخلاص منه (ص١٣٩). (وهذا الاسم يطلق الآن على أحد الأمراض العقلية، وهو الهوس أو المرح Mania أو "المـــانيا"، والذي قد يأتي منفردًا أو دوريًا بالتبـــادل مع الاكتئاب فيما يعرف بذهان الهوس - الاكتـــئابي Manic-Depressive Psychosis. ويهـــتم علمـــاء النـــفس بدراســـة أشكـــال الاضطراب التي تلحق بالوظائف النفسية المختلفة لدى هؤلاء المرضى). كما يضيف إلى "المانيا" مرضًا آخر هو "الماليخوليا"، وهو تشوش الفكر والظنون إلى الفساد والخوف، ويبتدئ بسرعة الغضب، وحب الخلوة، وخوف مما لا يخاف منه عادة، فإذا

استحكمت قويت هذه الأغراض، والمستعد له من قلبه حار، كثير شعر الصدر والبدن، ودماغه رطب، غليظ الشفتين، ألثغ، وعروضه للرجال أكثر، وللنساء أفحش (ص١٣٩). هذا الوصف يشبه أعراض مرض الاكتئاب الذي سبق ذكره، والذي قد يكون نفسيًا Reactive Depression، أو عقليًا Endogenous Depression، والأخير قد يأتي منفردًا، أو دوريًا مع الهوس. واهتمام علماء النفس هو نفس اهتمامهم بمرض الهوس وبقية الأمراض النفسية والعصبية. ويذكر كذلك الصرع Epilepsy، ويعرفه بأنه سدة دماغية غير تامة، تتشنج بها جميع الأعصاب لانقباض مبدئها وتمتنع الحس، والحركة، والانتصاب (ص١٤٥)، ويضيف أيضًا الفالج (الشلل) وهو استرخاء أي عضو كان (ص١٤٩)، وهما من الأمراض التي يعنى بها علماء النفس أيضًا.

وإذا تركنا الأمراض التي يمكن تصنيفها كأمراض نفسية أو عصبية، نجد أن ابن النفيس يتحدث عن أمراض اللسان كارتخاء اللسان، والتمتمة والفأفأة (ص١٧٥)، وأمراض الأذن (ص١٧٦-١٧٩)، وأمراض الحلق، كبحة الصوت (ص١٨٤).

وهذه الزملة من الأمراض تجد عناية من علماء النفس الذين يدرسون اللغة، أما من حيث ارتقائها وما يؤثر في هذا الارتقاء فيؤخره أو يشوهه. في محاولة للتعرف على عيوب النطق والكلام وفهم وإدراك اللغة، وتشخيصها، ثم وضع البرامج لعلاجها وتقويمها. كما يجد عناية من المهتمين بالتخاطب Communicaion، والدارسين لسيكولوجية اللغة Psycholinguistics، ذلك الفرع الذي يشهد نموًا وتطورًا كبيرًا في الوقت الحاضر.

ويختتم ابن النفيس كتابه النفيس بباب في السموم والاحتراز منها، فيذكر أنها ثلاثة أنواع: المعدنية، والنباتية، والحيوانية (ص٣١٨). والاهتمام بالسموم يأتي لتأثيرها على وظـــائف الجسم، ومنها الوظـــائف العقلية، وما تسببه من اختلال في هذه الوظائف، بل إن بعضـــها قد يؤدي إلى أعـــراض مرضية تشبه الأعراض الذهانية (العقلية) كما في التسمم الكحولي...

أوجه الاستفادة من هذا الكتاب في علم النفس:

يمكن الاستفادة من هذا الكتاب في علم النفس العصبي، وعلم النفس الفسيولوجي Physiological Psychology.

***

أغفل مؤرخو علم النفس الغربيون الإشارة إلى إسهام علماء النفس المسلمين في تطور علم النفس وتقدمه ، وما وصلوا إليه من آراء ونظريات لم يسبقهم إليها أحد من العلماء قبلهم . ويرجع ذلك الإغفال إلى جهلهم بتراث المسلمين العلمي ، وبما يحتوي عليه من آراء ومفاهيم ونظريات نفسية ، ولعل مسؤولية ذلك إنما ترجع إلى عدم اهتمام علماء النفس المحدثين بدراسة تراثنا العلمي والتعريف به . وتأتي هذه الموسوعة - ذات الأجزاء الثلاثة - لتبرز الدور المهم الذي قام به علماء النفس المسلمون في تطور علم النفس وتوضح القيمة العلمية لما قدموه من آراء حول بعض موضوعات علم النفس ، فتمكن الباحثين المعاصرين من الإحاطة بموضوعات التراث العربي الإسلامي كخطوة لتأصيل هوية عربية إسلامية لعلم النفس المعاصر . وتتناول الموسوعة بالشرح والتفصيل عرض وتكشيف ٣٠٠ كتاب ومخطوط من أمهات الكتب في التراث العربي الإسلامي والمتضمنة مفاهيم ومصطلحات ونظريات وآراء نفسية . والموسوعة تسهم في ملء ثغرة كبيرة افتقدها التأريخ الموضوعي لعلم النفس وتبرز الدور العلمي للعلماء والمفكرين العرب والمسلمين في مجال الدراسات والنظريات النفسية .

War-Alsalam Designs

الناشر

دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة

القاهرة - مصر - ١٢٠ شارع الأزهر - ص.ب ١٦١ الغورية

هاتف : ٢٢٧٠٤٢٨٠ - ٢٢٧٤١٥٧٨ - ٢٥٩٣٢٨٢٠ - ٢٤٠٥٤٦٤٢

فاكس : ٢٢٧٤١٧٥٠ (٠٠٢٠٢)

الإسكندرية - هاتف : ٥٩٣٢٢٠٥ فاكس : ٥٩٣٢٢٠٤ (٠٠٢٠٣)

www.dar-alsalam.com info@dar-alsalam.com